د. عبد الودود شلبى

بنديكت السادس عشر
البابا الذى لا يعرف شيئا !!



رقم الإيداع

٢٠٠٧/٣٣٨٥

كتاب المختار
أسسه حسين عاشور عام ١٩٧٩

٣ حارة الجمل - ميدان السيدة زينب - القاهرة - تليفون وفاكس ٣٩٢٢١٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

(سورة التوبة)

البــداية

* فى خطابه الذى ألقاه فى جامعة ألمانية أراد البابا المائتان الخامس والستون أن يثبت ان هناك فرقا جوهريا بين المسيحية والإسلام، بينما ترتكز المسيحية على المنطق، فإن الإسلام ينكره، بينما ترى المسيحية منطقا فى أعمال الله، ينكر المسلمون أى منطق فى أعمال الله.

* يدعى البابا ان النبى محمد قد أمر أتباعه بنشر دينه بقوة السيف وهذا أمر غير منطقى، على حد تعبير البابا، لأن الروح هى مصدر الإيمان وليس الجسد، وكيف يمكن للسيف أن يؤثر على الروح ؟

* فى أواخر القرن الرابع عشر روى القيصر« عيمانوئيل الثانى» عن نقاش أجراه، على حد زعمه (هذا الأمر مشكوك فيه) مع مثقف فارسى مسلم مجهول، وفى خضم النقاش قال القيصر بخشونة (على حد قوله) أمام شريكه فى الحديث :

* أرنى شيئا جديدا أتى به النبى محمد، وسترى أشياء سيئة وغير إنسانية فقط مثل أمر نشر دينه بقوة السيف.

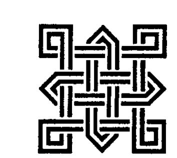
* تثير هذه الأقوال ثلاثة أسئلة :

(ا) لماذا قالها القيصر ؟

(ب) هل هى صحيحة ؟

(ج) لماذا كررها البابا الحالى ؟

جذور الكراهية والحقد
من أوربانوس الثانى
إلى بنديكت السادس عشر



في مدينة « كلير مونت » بفرنسا عام ١٠٩٥ ميلادية .. وقف البابا الدموى السفاح « اروبانوس الثانى » يخطب فى جموع الوحوش والقتلة قائلا :

أيها الجند المسيحيون !! لقد كنتم تحاولون من غير جدوى إثارة نيران الفتن والحروب فيما بينكم .. أفيقوا .. ! فقد وجدتم اليوم داعيا حقيقيا اليها .. فإذهبوا الآن .. وأزعجوا البرابرة .. اذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من أيدى الكفار أى المسلمين !!!

أيها الجند .. أنتم الذين كانوا سلع الشرور والفتن ألا هبوا .... وقدموا قواكم وسواعدكم ثمنا لإيمانكم .. هذا هوالوقت الذى تبرهنون فيه أن فيكم قوة وعزما وبطشا وشجاعة .. واذا كان من المحتم أن تثأروا لأنفسكم فاذهبوا واغسلوا أيديكم بدماء اولئك المسلمين الكفار ... !!!

واذكروا جيدا قول المسيح : ليس منى من يحب أباه وأمه أكثر من محبته إياى .. أما الذى يترك بيته ووطنه . وأمه وأباه وزوجه وأولاده وممتلكاته فسيخلد فى النعيم وسيجزيه الله الجزاء الأوفى ..

إنكم إن انتصرتم على عدوكم كانت لكم ممالك الشرق ميراثا .. وإن أنتم خذلتم فستموتن حيث مات اليسوع !!!

انها - أى هذه الحرب - ليست لامتلاك مدينة واحدة بل لإمتلاك أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التى لا تحصى ... !!! فاتخذوا

حجة بيت المقدس وخلصوا الأراضى المقدسة وامتلكوها أنتم خالصة لكم من دون أولئك الكفار .. فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبنا وعسلا ....[١]

ترى هل تغير شيء منذ ذلك التاريخ وحتى هذا اليوم ؟

ألم يتحول حلف « الناتو» أو حلف « شمال الأطلسى » إلى حلف لمواجهة الإسلام على امتداد ساحة العالم فى الشرق والغرب ؟

يقول (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ، ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ م .. يقول :

يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أوشعوب ، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية . لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة ، بصور مختلفة .. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى .

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى فلسفته ، وعقيدته ، ونظامه وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامى ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام

(١) صلاح الدين الأيوبى - د / أحمد بيلى .

وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها[٢] ... !!!

إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول اثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شىء من الفتور (اعتبار الأسباب المخففه) ... !!!

وعلى الجملة فإن طريقة الإستقراء والإستنساخ التى يتبعها أكثر المستشرقيين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى، أى أن تلك الطريقة التى لم يتفق لها أبدا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ بإستنساخ متفق عليه من قبل أملاه عليها تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا اليه مقدما، واذا تعذر عليهم الإختيار العرفى للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمية من سوء القصد من غير أن ينسـبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر أى من قبل المسلمين أنفسهم ..

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام تواجهنا فى جيمع ما كتبه مستشرقوا أوربة وليس ذلك قاصرا على بلد دون

---

(٢) المؤامرة ومعركة المصير- صفحات ٨٧- ٩٤ . المرحوم سعد جمعه - رئيس وزراء الأردن السابق.. الناشر : " المختار الإسلامى " ..

آخر . إنك تجده فى انكلترا وألمانية ، فى روسيا وفرنس ، وفى ايطالية وهولنده - وبكلمة واحدة ، فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام ..

يقول الأستاذ محمد أسد[٣] : « إن الحروب الصليبية هى التى حددت فى المقام الأول ، والمقام الأهم موقف أوروبا من الإسلام . لقد كانت الحروب الصليبية حاسمة لأنها حدثت فى أثناء طفولة أوروبا فى العهد الذى كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها ، وكانت ولا تزال فى طور تشكلها .....» .

وكما يقول (مالك بن نبى) :

« ... إن أوروبا التى جعلت نفسها المشرف الوحيد على الجنس البشرى لم تعترف منذ كانت مدنيتها لا تزال فى المهد ترضع اللبن العربى بأية مدنية إسلامية .. » ..

وكما يقول (جوستاف ليون) معللا السبب الذى يدفع علماء أوروبا إلى إنكار هذا الجميل برغم أنهم يجب أن يبتعدوا عن التعصب.

يقول : (الواقع أن استقلال الرأى ظاهرى أكثر منه حقيقى ، وذلك لأننا لسنا أحرارا قط فى تفكيرنا حول بعض المعلومات ، فقد استمر

---

(٣) محمد أسد أسمه الأصلى " ليوبولد فايس " كان يهوديا ثم أسلم . وقد اشتغل فى عدة أقطار إسلامية منها : السعودية وباكستان. وهذه الفقرات ننقلها من كتاب (الاسلام فى مفترق الطرق) فصل " شبح الحروب الصليبية " ص٥٠ : ٦٠ الطبعة الرابعة ..

التعصب الذى ورثناه ضد الإسلام وزعمائه خلال قرون عديدة حتى أصبح جزءا من تركيبنا العضوى ....)[٤]

لقد عثرت على إحدى الوثائق المتضمنة لرسالتين متبادلتين بين « ماجلان » الرحالة البرتغالى ، وبين « سلطان عمان الإمام سيف بن سلطان الأول» وفى هاتين الرسالتين يتضح لكل ذى عينين مدى الحقد والكراهية التى يكنها الغرب للمسلمين والإسلام ، والتى لم يتغير منها شيء حتى هذا اليوم :

يقول « ماجلان فى رسالة إلى السلطان » :

« إننا لن نرحم من يشكو أو نشفق على من يبكى ، فقد نزع الله الرحمة من قلوبنا حقا ، والويل كل الويل لأولئك الذين لا يمتثلون لأوامرنا[٥] .. لقد دمرنا مدنا ، وقضينا على أهلها ، وأفسدنا الأرض ، فإذا قبلتم شروطنا فسيكون هذا من مصلحتكم أنتم لا مصلحتنا نحن ، أما إذا رفضتمونا وثابرتم على ظلمكم فلن تمنعكم حصونكم منا ، ولن تحميكم جيوشكم فقد أكلتم ثمار الشر ، وأضعتم أنفسكم تماما .. تتمتع اليوم فيما يساورك من قلق ، فإنك إنما تدفع عقوبة طفيفة لما فعلت ... وإذا كانت كلماتنا غير مقبولة منكم ، فيبدو لنا بالتأكيد أنك ظالم ، وأن قلوبنا قـدّت من حجارة ، وأعدادنا كحبات الرمال ونحن

(٤) مستقبل الإسلام – مالك بن نبى – ص ٢٩ – بيروت .

(٥) وهذا هو موقف الغرب من المسلمين اليوم ..

نعتبر أن أعدادكم الوفيرة قليلة ، وقوتكم خسيسة .. إننا نحكم الدنيا[٦] بالتأكيد من مشرق الشمس إلى مغربها ... وقد بعثنا لكم هذه الرسالة فأجيبوا عليها بسرعة قبل أن تتمزق جباهكم ولا يبقى منكم شيىء .. وهذا لإبلاغكم لموقفنا ..

وفيما يلى رد الإمام « سيف بن سلطان الأول » :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[٧] .

لقد طالعنا هذا الخطاب الذى يقول : إن الله انتزع الرحمة من قلوبكم وتلك واحدة من أقبح أخطائكم بل أسوأها وأبشعها .. وأنت تلومنا وتقول أنتم (المسلمون) كفار ، ألا لعنة الله على الكافرين ، فالذى بيده البذور لا تهمه الفروع ، إننا نحن المؤمنون حقا ، ولن يعصمك الهرب منا .. ولن يعترينا أى شك أو تردد .. لقد أنزل علينا القرآن ، وكان الله دائما رحيما بنا .. أن خيولنا وأساطيلنا ممتازة برا وبحرا ، وعزائمنا سامية رفيعة ومن ثم فإننا اذا صرعناك فسيكون هذا عملا صالحا ، وإذا قتلتنا فلن يكون بيننا وبين الجنة إلا لحظة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾..[٨] .

(٦) وهذا ما تقوله أميركا وتذيعه كل يوم ..

(٧) سورة آل عمران آية ٢٦ .

(٨) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

وأنت تقول إن قلوبكم كالجبال وأعدادكم كالرمال ، والجزار لا يهمه العدد من الخراف والماعز ، والله مع الصابرين .. وهكذا فإن لدينا القوة التى تسمو على الرغبة، فإذا حيينا فسنحيا سعداء ، وإذا متنا فسنموت شهداء (ألا أن حزب الله هم الغالبون). لقد بلغتم أمرا تكاد السموات تتفطر منه وتنشق الأرض ، وتتهاوى الجبال وتتحطم .!!!

فقل لسيدك (ويبدو أنه كان يوجه الخطاب هذا إلى مبعوث) أنه حتى إذا رصع رسالته بالجواهر وأقام موضوعه بعناية فإن حقيقة هذه الرسالة إلا كصرير باب أوطنين ذباب وليس لدينا بعد ذلك ما نقوله إلا أن الجبال تمطركم وابلا والنار تكشف العار ، والسيوف تشحذ على الأعناق .. والسلام على من إتبع الهدى وخشى عذاب الجحيم وأطاع الله ، مالك الملك ، وفضل الآخرة على الدنيا .. والصلاة والسلام على خير الخلق .... محمد (ﷺ)(٩) ...

ويقول الكاتب العالمى « حيدر بامات »(١٠) :

« لا تزال النصرانية تواجه الإسلام بحقد وازدراء يميلها التعصب عليها ، ويتجلى هذا على وجوه كثيرة ، ومنها ما نرى فى الفقه الدولى الذى لا يعامل الأمم الإسلامية معاملة تكون بها مساوية للأمم النصرانية.

---

(٩) تاريخ عمان – وندل فيليبس - ترجمة محمد أمين عبد الله – ص ٩٧.

(١٠) مجالى الإسلام- ص ٥٠٠- ترجمة عادل زعيتر - طبع عيسى البابى الحلبى .

وتعتذر الحكومات النصرانية عما تسوم به الدول الإسلامية من حملات وإهانات باستشهادها بما هى عليه هذه الدول الإسلامية من تأخر وتوحش، ومع ذلك فإن تلك الحكومات النصرانية نفسها هى التى تقيم العقبات من كل وجه، حيال كل سعى إلى الإصلاح والنهضة فى بلاد الإسلام ... » .

عندما رشح رئيس المحكمة العليا فى بريطانيا للتحقيق فى قضية تهريب أسلحة بريطانية إلى العراق . هبت الصحافة البريطانية ومعها مجلس العموم البريطانى لمنع ترشيح أكبر قاضى بريطانى للتحقيق فى هذه القضية أما لماذا ؟

فلأن ابنتى هذا القاضى اعتنقتا الإسلام فى جامعة اكسفورد ؟ !! فلا يستبعد أن يميل بعواطفه إلى شعب العراق المسلم حين النظر فى هذه القضية .. !!!

وعندما رشح القانونى المصرى العالمى « شريف بسيونى » لوظيفة المدعى العام فى المحكمة الجنائية الدولية لمجرمى الحرب فى «يوغوسلافيا » السابقة اعترضت بريطانيا على هذا الترشيح . أما سبب هذا الرفض كما ذكرت ذلك « نيويورك تايمز » (newyork times):

إن سبب هذا الرفض يعود إلى كونه مسلما[١١] .. !!!

---

(١١) وجهات نظر - العدد ٣٢ سنة ٢٠٠١ م ..

يقول المؤرخ (ليدوفيك دى كونتش) :

كان الغرب يعمل جاهدا على تأصيل بذور الكراهية والحقد ضد المسلمين في نفوس المسيحيين يتلقونها خلفا من سلف ، ويرضعها الطفل من شعور أمه كما يرضع اللبن من ثديها .. فتسرى فى كيانة مسرى الدم فى عروقة ، وتنشا عقيدة تقضى على العلاقة بين المسلم والمسيحى إلى الأبـــد ..

إن الغرب - كما يقول (برتراند راسل) (كالأرض السبخة لا تنبت فيها إلا بذور الشر ... !) ..

أو كما يقول (كيفين رالي) في كتابه (الغرب والعالم) (إن الغرب هواكبر مجرم في العالم ... !!!)..

لقد بدأت ماساة المسلمين في البوسنه بمجرد صدور أول بيان يحدد شخصية هذه الدولة ...

لقد بدأ البيان : (بسم الله الرحمن الرحيم)

وهذه هي الخطيئة الاولي ...

كما جاء في مقدمة البيان أن الهدف من إعلانه هو العودة الي الإسلام ..

وهذه الخطيئة الثانيه ...

أما ثالثة الأثافي فقد كانت دولة البوسنه شعار لها هو:(الجهاد والإيمان) ...

وتلك هي الطامة الكبري عند الفاتيكان واليهود وأوروبا وأمريكا !

قبل اكثر من خمسة عشر عاما وفي عهد رئيس وزراء بريطانيا السابق (جون ميجور) ساله مراسل صحفي :

كيف ترسل بريطانيا قواتها إلي (البوسنه والهرسك) وتترك بريطانيا بدون قوي رادعه لأي خطر محتمل .. ؟؟

ماذا قال الوزير ؟؟

لقد قال بالنص والحرف :

لقد أرسلنا قواتنا إلي هناك لمنع الخطر من الوصول إلي لندن !!!

فعاد الصحفي وسأله مرة أخري .. عن إسم هذا الخطر ..

فقال الوزير :

إنهم المسلمون طبعا .. !!!

وهل يشك احد – إن أمريكا وأوربا كانت ستسحق الصرب سحقا علي جرائمهم الوحشية وعمليات الإبادة والتطهير العرقي لوكان الصرب مسلمين.. !!!

وهل يتصور احد حظر السلاح علي « البوسنة » اذا كانت مسيحية – والمعتدي هم المسلمون ؟؟ !!

وقد نشرت احدي الوثائق التي تسربت من مكتب رئيس الوزراء البريطاني السابق (جون ميجور) في هذه الوثيقة يكشف رئيس الوزراء البريطاني الستار عن أبعاد المؤامرة التي تقودها بريطانيا ضد المسلمين في اوربا والعالم .. !

لقد اعترف الجندى البريطانى « ليك كاميرون » بعد ٧ سنوات كاملة على الجريمة ، بما حدث من تواطؤ أوروبى لذبح مسلمى البوسنه حكى الرجل ما حدث لصحيفة (الصنداى تايمز) ..

يقول الجندي البريطاني « ليك كامرون » الذي شارك في قوات الامم المتحدة بالبوسنة .

لقد ان الأوان أن نتكلم ، نقول حقيقة ما حدث في حرب البوسنة تحديدا في « سربر ينتشا » لم أعد احتمل الكتمان أكثر من ذلك ،لقد خدعنا المسلمين ، فنحن قوات الحماية الدولية بدلا من أن نوفر لهم الأمن والحمايه غررنا بهم وسلمناهم للضرب .. ويضيف :

لقد قام الصرب بذبح ٧ آلاف مسلم علي مرأي ومسمع من الغرب ، بل وبموافقة قوات الأمم[١٢] المتحدة الدولية التي كان من المفترض ان نحمي المسلمين في «سربر ينتشا »، ولكن علي العكس من ذلك تماما ، لقد سمحت للصرب بتصفيتهم ، بعد ان تاكدت القوات من عزم القوات الصربية علي ذبح المسلمين . !!!

يقول « كاميرون » :

إن أفظع لحظة عاشها خلال الشهور العصيبة التى قضاها فى البوسنه هى عندما بللته دموع الجنود المسلمين وهم يودعونه بعد أن خسروا المعركة تماما ويشكرونه على الدور الذى قام به هو وغيره من قوات الحماية الدولية ، أما هو فكان يشعر بمرارة الخزى والعار فى أعماق ،

---

(١٢) كان الأمين فى ذلك بطرس غالى !

وأخذ يودع الجنود عند مغادرته أرض الدمار وهويقول لهم سامحونى أنا آسف، هو وحده كان يشعر لماذا هوأسف، ولماذا طلب منهم السماح .. ؟!!

ويعترف « كاميرون » قائلا : لقد خدعنا المسلمين تماما ويضيف : إن عملية التلاعب بالألفاظ فى مفهوم الحماية الدولية كانت هى الغطاء لهذه المذابح وهذه الجرائم ..

يقول عميد المستشرقين الفرنسيين (جاك بيرك) :

« إن الإسلام الذى هوآخر الديانات السماوية. كان ولا يزال - وسيظل حتى هذه الساعة - بالنسبة لشعوب أوروبا والغرب - يمثل ابن العم المجهول والأخ المرفوض. والمبعد الأبدى والمتهم الأبدى والمشتبه فيه الأبدى » ..

كما يقول الباحث والمفكر المسيحى « ادوارد سعيد » :

لقد ظهر فى الفترة ما بين ١٨٠٠م - ١٩٥٠م أكثر من ستين ألف كتاب كلها تهاجم الإسلام، وتتهم المسلمين بأنهم وحوش وهمج وأعداء للسيد المسيح وأمه الطاهرة ولاتزال حملة التشويه قائمة وتزداد وحشية وضراوة !!

فى أواخر عام ٢٠٠١م ثارت ضجة فى إيطاليا عندما أعلن أن السفير الإيطالى فى السعودية « توركوا توكارديللى » اعتنق الإسلام، يوم ١٦

نوفمبر وأعلن أنه اهتدى إلى الإسلام بعد دراسة عميقة للقرآن والقيم والحضارة الإسلامية .

وعلقت صحيفة (لاستامبا) الإيطالية على هذا الحديث فى عددها يوم ٢٦ نوفمبر فقالت : إن (كارديللى) إنحاز إلى الإسلام فى الوقت الذى احتدم فيه الصراع بين الحضارات والديانات ، وان إختيار السفير للإسلام يثير كثيرا من الجدل ، خصوصا أنه أول دبلوماسى يعتنق الإسلام ، فقد إعتنق الإسلام قبله (ماريوشيالوجا) الذى إعتنق الإسلام فى عام ١٩٨٨م وتولى منصب سفير إيطاليا فى السعودية عشر سنوات بعد إسلامه وأصبح رئيسا للمجلس الإسلامى الإيطالى ونائبا لرئيس رابطة العالم الإسلامى فى « مكة» ولها فرع فى العاصمة الإيطالية « روما » .

لهذا كان من أهم الدوافع التى دعت « بنديكت السادس عشر » إلى إعلان كراهيته للإسلام والنبى محمد ..

كما تقول مجلة « نيوز ويك الأمريكية » : هو سرعة إنتشار الإسلام فى أوربا وأميركا . بل وعلى أبواب الفاتيكان فى روما !!

ففى إيطاليا يعتنق الإسلام عشرة أشخاص يوميا !

يؤكد هذه الحقيقة ما نشرته صحيفة الأهرام فى يوم الجمعة الموافق الثالث من نوفمبر ٢٠,٦ م أن قسا كاثوليكيا فى ألمانيا أحرق نفسه فى إحدى المغارات التابعة لأحد الأديرة فى شرق المانيا . وقد ترك الراهب « المحترق » ! رسالة يقول فيها : أنه أحرق نفسه لأن الإسلام

ينتشر بسرعة فى المانيا وغيرها من دول اوربا وأميركا !!! دون أن يكون للكنيسة دور فى مواجهة هذا الزحف !!!

والبابا « بنديكت السادس عشر » لا يختلف فى موقفه من الإسلام من موقف هذا « القس المحترق » غيظا وكمدا من انتشار الإسلام بهذه القوة وهذه السرعة.

ومن هذه الظواهر التاريخية التى حيرت المؤرخين فى بلاد الغرب ظاهرة إنتشار الإسلام فى أوربا والولايات المتحدة وفى العالم كله هذه الظاهرة التى يرى بعض المؤرخين أنها عجيبة . والأعجب من ذلك أن يكون الإنتشار فى زمن فقد فيه المسلمون كل عناصر القوة وفى الوقت الذى يهاجم فيه الإسلام بقوة وشراسة فى أوربا وأمريكا .. !!

لقد أقبل الناس على الإسلام كما يقول « مونيته » لأن الإسلام عقلانى الجوهر وقدم مزايا جليلة إلى جانب مبادئه البسيطة التى لا تقبل الجدل ، وأقبلوا عليه كما يقول « توماس أرنولد » دون أية محاولة للإرغام والإضطهاد لأنه دين يحترم العقل ، وتطمئن اليه النفس والقلب .!! ومن الظواهر المصاحبة لحركة انتشار الإسلام فى هذه الدول أن معظم الذين يعتنقون الإسلام جاءوا من كبار الأسر أومن المثقفين الذين يفكرون بعقولهم فى حقيقة دينهم الذى لم يعد له فى حياتهم أثر . !!

فى حدائق « KENSIGTON» «كيسنجتون» كنت أسير ومعى « البروفيسور عبد الحكيم ونتر » بعد تناول وجبة الطعام فى مطعم عربى

بشارع « كوينزواى» « QUEENS WAY » لقد سألنى الأخ عبد الحكيم . هل قرأت صحف لندن فى هذا اليوم ؟

قلت له : وماذا فى هذه الصحف ؟ أننى لا أجد وقتا لقراءة صحيفة عربية أوإنجليزية فما بقى لى فى لندن سوى يوم واحد . أغادر بعدها العاصمة البريطانية عائدا إلى القاهرة . قال الأخ عبد الحكيم : إن هناك ضجة فى مجلس العموم بسبب قاضى المحكمة العليا المستر « سكوت » « SCOTT » الذى يحقق فى فضيحة تهريب الأسلحة إلى العراق . لقد طلب مجلس العموم سحب هذه القضية من القاضى ولسبب غاية فى الغرابة قلت للأخ عبد الحكيم :

ما السبب فى إتخاذ هذا الموقف من هذا القاضى : السبب كما تقول الصحف : أن لهذا القاضى (إبنتين) تدرسان فى جامعة « إكسفورد » وأن هاتين الإبنتين قد أسلمتا وانضمتا إلى قافلة الإيمان فى مدينة « إكسفورد » !!!

إن الفاتيكان يتآكل من الداخل فلم تعد فضائح الأباء والكرادلة بمنآى عن الناس الذين أزعجهم هذا الفساد والإنحلال الذى أحاط بكنيسة القديس بطرس .

يقول (لمى لاهاى) مؤسس ما يعرف بالأغلبية الأخلاقية فى الولايات المتحدة :

إن البابا رجل مخادع وكذاب وعدو للمسيح وأن الكوثوليكية إنحدرت من صلب الشيطان « لوسيفر » وأن الآباء الكاثوليك يغتصبون البنات قصرا اللاتى يجلسن أمامهم على كرسى الإعتراف !!!

وقبل رحيل البابا « جون بول الثانى » قامت ضجة فى الولايات المتحدة حول ممارسة الآباء الكاثوليك للإغتصاب والشذوذ الجنسى !!

وفى لقاء مع مجلة تايم «TIME» مع إحدى الفتيات الايرلنديات كان هذا الحوار الذى سئلت فيه الفتاة عن قصة إغتصاب وقعت لها مع أحد الآباء المؤتمنين على الدين والعقيدة :

سؤال : هل حدث ذلك معك فعلا ؟

جواب : نعم وأكثر من ذلك !!

سؤال : وهل تعتقدين أن البابا يعلم ذلك ؟

جواب : بل يعلم ما هو أكثر من ذلك !!

سؤال : أنت تتهمين البابا فهل أنت متأكدة ؟

جواب : متأكدة بل أعتبر أنه المسئول الأول !!!

وكما يقول « جورج فوكس » (GEORGE FOX) مؤسس جماعة « الكويكرز » (THE QUAKERS): إن محل الأحذية الذى كان يشتغل فيه أطهر وأشرف من الفاتيكان ألف مرة !!!



زيارة البابا إلى مصـــر

عندما زار «البابا» (جون بول) مصر استقبله رئيس الجمهورية وشيخ الأزهر فى المطار، فى الوقت الذى لم يتحرك فيه (الأنبا شنوده) «أخـــوه فى المـلة» من مكانه فى كنيسة الأنبا رويس - بحى العباسية .!!!

كان السذج يعتقدون أن «البابا جون بول» يدخر مفاجأة يعلنها فى القاهرة. وأن يعترف أمام رئيس الجمهورية وأمام شيخ الأزهر للمسلمين الذين شن عليهم الفاتيكان أطول وأسوأ حرف عرفتها البشرية لكن «الممثل السابق»(١٣) المعروف حاليا بالبابا جون بول، لم ينبس بكلمة واحدة .. !!!

إن الرجل شأنه شأن غيره من زعماء الكراهية والتعصب لا يعترفون بالإسلام أصلا. كما لا يعترفون بالنبى محمد رسولا ولا نبيا والذين يقولون أويكتبون عن «الحوار بين الأديان السماوية» إما سذج .. أو جهلة فالفاتيكان لم يقل أبدا أنه يدعو إلى (الحوار بين الأديان السماوية) .!! لأنه لو قال هذه العبارة التى يرددها السذج فى العالم الإسلامى. فإن ذلك يعنى «الإعتراف» بالإسلام كدين سماوى وبمحمد كرسول ونبى وهذا ما لم يتطرق اليه الفاتيكان أصلا ولم يقله أبدا .. !!

---

(١٣) احترف البابا التمثيل فى بداية حياته فى بلده أو مسقط رأسه فى بولندا ..

والحوار الذى يدعو اليه الفاتيكان « محصور » بين ثلاث كلمات فقط هى (الحوار بين الأديان) أى دين ؟ سواء كان أتباعه ممن يعبدون البقر !!! أو يعبدون الحجر .. !!!

إعتذار الفاتيكان عن جرائمه
ماعدا الإعتذار للمسلمين

قبل حوالى ٣٥ عاما إعتذر الفاتيكان إلى اليهود بسبب تحميلهم مسئولية صلب السيد المسيح ، وهى المسئولية التى أقرها فى عام ١٥٨١م البابا « غريغورى الثالث عشر » فى حكم له نص على :

« إن خطيئة الشعب الذى رفض المسيح وعذبه تزداد جيلا بعد جيل ، وتحكم على كل فرد من أفراده بالعبودية الدائمة » .. !!!

وقد التزم البابوات الذين تعاقبوا من بعده بهذا الموقف . ثم إعتذر لهم مرة أخرى فى عام ١٩٩٣م بسبب عدم إدانته الفورية للمجازر التى ارتكبتها النازية .

حتى أن البابا السابق « يوحنا بولس الثانى » نفسه وافق فى عام ١٩٩٧م على وقف العمل فى إعادة بناء دير كاثوليكى للراهبات قرب معسكر « أرشفيتز » فى بولونيا مراعاة لمشاعر اليهود الذين اعتبروا أن إعادة البناء هو إجراء مـؤذ لأرواح اليهود الذين قتلوا فى المعسكر !!!

كذلك لم يتردد الفاتيكان فى الإعتذار إلى الشعوب الأصلية فى دول أمريكا اللاتينية التى تعرضت للإضطهاد وأعمال السخرة .

وحروب الإبادة خلال الحملات الاستعمارية الإستيطانية التى قامت بها أسبانيا والبرتغال، لأن تلك الحملات جرت تحت شعار التبشير بالكاثوليكية ..

حتى أن الفاتيكان اعتذر عن خطأ ارتكبه فى عام ١٦٣٣م عندما كفرالعالم الإيطالى الشهير«جاليليو» لقوله بكروية الأرض. فقد صدرت عن الفاتيكان فى عام ١٩٩٢م وثيقة تبرىء « جاليليو» من تهمة الكفر وتمنحه البراءة المسيحية .. !!!

ولم تقف مبادرات الإعتذار على الفاتيكان وحده، بل أنها شملت دولا وشعوبا عديدة أخرى، فالولايات المتحدة اعتذرت لمواطنيها الذين ينحدرون من أصل يابانى بسبب سوء معاملتهم اثر الهجوم اليابانى على (بيرل هاربور) فى عام ١٩٤١م ..

واعتذرت روسيا لليابان بسبب الوحشية التى استخدمت فى معاملة الأسرى اليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية. وقدمت اليابان اعتذارات عديدة أخرى إلى شعوب دول شرق آسيا خاصة إلى الصين بسبب المجازر التى ارتكبتها قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها. وعندما قام الامبراطور اليابانى بزيارة بكين فى تشرين الأول « اكتوبر » ١٩٩٢م ردد علنا هذه المشاعر، مبديا استعداد بلاده لتعويض الصين من خلال تمويل عدد من مشاريع التنمية التى قام بها ..

كذلك أعربت اليابان عن أسفها لدول فى جنوب شرق آسيا وخصوصا الفلبين وكوريا بسبب استخدام نساء فليبينيات وكوريات

خلال الحرب العالمية الثانية للترفيه جنسيا عن الجنود اليابانيين والتزمت بتعويض عائلات آلاف النسوة بمبالغ مالية كبيرة ..

أما (ألمانيا) فبالإضافة إلى الإعتذارات العديدة التى قدمتها حكوماتها المتعاقبة منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم « فقد قدمت تعويضات مالية كبيرة إلى اليهود » .. وتعرضت سويسرا لحملة اضطرتها للإعتذار إلى اليهود أيضا ولتعويضهم بحجة أنها لم تقبل استقبال جميع الفارين منهم من ألمانيا وبحجة أنها احتفظت بودائع مالية لعائلات يهودية ألمانية تمت تصفيتها فى المعسكرات النازية ..

استهدفت كل هذه الإعتذارات تبرئة الذمة من أحداث إجرامية ماضية بهدف تصحيح مسيرة التاريخ .. كما إستهدفت إعادة الإعتبار إلى شعوب عدة ، بهدف مد جسور جديدة من التعاون معها .. ولكن العالم الإسلامى وحده استثنى حتى الآن من هذه العملية الصحيحة الجديدة .. بل إن ما يجرى اليوم يقدم مؤشرات إضافية إلى استمرار عملية الإستعداء وكأن أصحابها غير معنيين بوضع حد لها وبفتح صفحة جديدة مع الإسلام ..

لقد استمرت الحروب الصليبية حتى عام ١٢٩١م ، وسقط خلالها من الضحايا ما لا يعد ولا يحصى ، ولحقت بالمسلمين من جرائها أضرار مادية ومعنوية تواصلت قرونا عديدة ..

لقد مر حوالى ثلاثين عاما على مؤتمر « كلورادوا » الذى صدرت قراراته بضرورة تنصير المسلمين فى العالم ولم نر رد فعل حقيقى لمواجهة هذه الغارة على إمتداد مساحة العالم الإسلامى ..

* وفى مجلة (تايم) «TIME» بتاريخ ٣٠ يونيوعام ٢٠٠٣م ظهر مقال خطير فى هذه المجلة، وبعنوان على صفحة الغلاف الأولى وعنوان هذا المقال هو :

* (هل على المسيحيين أن يغيروا عقيدة المسلمين ؟)

* وتحت عنوان داخلى من هذه المجلة كلمات تقول : « إرساليات التبشير المتخفية تحاول نشر المسيحية فى ديار الإسلام »..

* وتشير إحصائيات أحد المراكز الدينية فى ولاية (ما سا شوستى) إلى تضاعف عدد إرساليات التبشير فى العالم الإسلامى من العقدين الماضيين إلى ٢٧ ألف إرسالية .. ومن بين هذه الإرساليات إرساليات كثيرة زحفت مع الجيش الأمريكى إلى العراق وإلى أفغانستان ..

* ومن أغرب ما حدث فى جمهورية أذربيجان أن يقوم البابا الراحل بزيارة هذه الجمهورية التى لا يزيد عدد المسيحيين فيها عن مائة وأربعين كاثوليكيا . ثم يتبرع بسبعة وثلاثين مليون دولار لإقامة صرح كنسى هناك ..

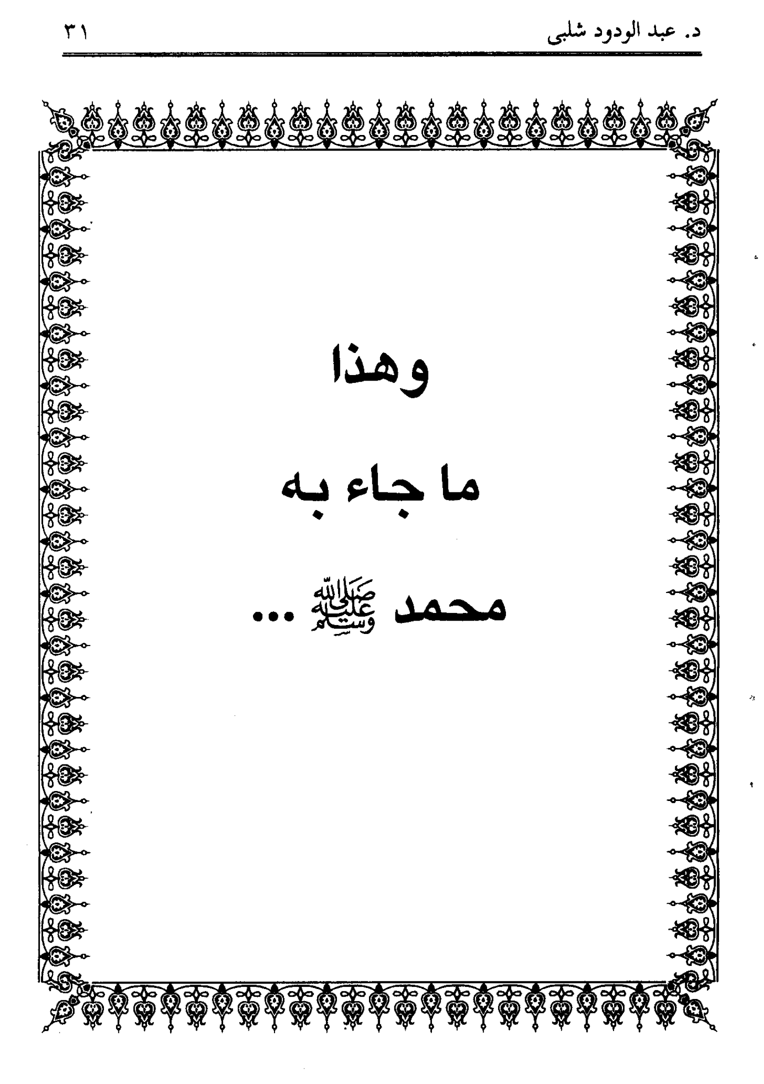
* وفى أنقره عاصمة تركيا قامت المؤسسات التنصيرية ببناء ٣٦ كنيسة بينما لا يوجد فى هذه المدينة مسيحيون يملأون كنيسة واحدة ..

* وهذه الصورة أى صورة بناء الكثير من الكنائس فى بلاد ومدن لا توجد فيها أسرة مسيحية واحدة صورة مكررة فى أقطار كثيرة فى آسيا وأفريقيا يبنون هذه الكنائس فى بلاد المسلمين فى الوقت الذى تباع

فيه الكنائس فى أوروبا وأمريكا إلى تجار الخمور ليحولوها إلى كباريهات تمارس فيها كل أنواع الدعارة والفسق .. !!

لهذا يكرهون الإسلام ويخافون من المسلمين ؟ !!!





وهذا

ما جاء به

محمد ﷺ ...

يتساءل بندكيت .. عما جاء به النبى محمد .. ؟ لقد جاء محمد بالعقيدة السهلة الواضحة والشريعة السمحة العادلة عقيدة تقوم على الوحدانية المطلقة. فليس لله أب ولا إبن وليس له شريك فى الملك. وليس كمثله شىء فى السموات والأرض. هووحده الخالق، وهووحده الرازق وهووحده المبدىء والمعيد، وهووحده المحى والمميت. وهووحده مالك يوم الدين.

« أشهد أن لا إله إلا الله » هذه الشهادة هى رأس الأمر وجماع الخير فلا أصنام ولا أوثان، ولا أحبار ولا رهبان. ولا وساطة بين الله والإنسان.

﴿ ... فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٤)

وجاء محمد بالشريعة السمحة العادلة. شريعة تنظم شئون الناس فى هذه الحياة وفيما بعد هذه الحياة.

فى العبادات والمعاملات. وفى السلوك والأخلاق. فى السلام والحرب. وفى الدولة ونظام الحكم. وفى القضاء والعدل. شريعة لا تعسير فيها ولا شطط. ولا غلو فيها ولا تزمت. ولا محاباة لقوى على ضعيف ولا لغنى على فقير. ولا لحاكم على محكوم. والعقيدة هى

(١٤) سورة الروم آية رقم ٣.

الأساس الذى تبنى عليه الشريعة . فالشريعة هى البناء الذى يقوم على العقيدة فمن آمن بالشريعة دون العقيدة أوبالعقيدة دون الشريعة لا يكون عند الله مسلما . أوناجيا .. ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾(١٥) .

وجاء محمد بأول وثيقة لتحرير الإنسان . وحقوق الإنسان وقبل أن يسمع أحد بحقوق تسمى حقوق الإنسان ..

لم يكن الناس يعرفون أن لهم حقوقا قبل الإسلام . كل ما يعرفونه أن عليهم واجبات فقط . فجاء الإسلام وقرر أن له حقوقا يجب أن تراعى كما أن عليه واجبات يجب أن تؤدى ..

وإنما تراعى الحقوق يوم تؤدى الواجبات . فحق كل إنسان هو واجب على غيره : حق الولد فى الرعاية المادية والمعنوية والتربية الحسنة هوواجب على أبويه ، وحق الأب فى البر والإكرام والرعاية عند العجز أوالشيخوخة هوواجب على أولاده ، وحق الفقير فى كفايته من العيش هوواجب على الغنى ، كما قال الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾(١٦)

وحق المحكوم فى العدل وتكافؤ الفرص واجب على الحاكم .. وهكذا . هذه الحقوق إنما تراعى حينما تؤدى الواجبات ، فهذه فلسفة

---

(١٥) سورة البقرة آية رقم ١٣٨ . صبغة الله- أى دين الله الذى فطر الناس عليه . والذى يرى أثره على المسلم كما ترى الصبغة فى الثوب لظهوره ووضوحه ..

(١٦) سورة المعارج : الآيات ٢٤ ، ٢٥

الإسلام الذى يمزج بين الواجب والحق، بل يؤكد كل التأكيد، ويركز كل التركيز على أداء الواجب، فإنما تضيع الحقوق حينما تضيع الواجبات ..

جاء الإسلام وقرر أن للناس حقوقا، ولكل إنسان حقا، قرر ذلك دون أن تقوم ثورة تطالب بحقوق الإنسان، دون أن تسير مظاهرة تنادى بحق الفقراء فى أموال الأغنياء، أو بحق الضعفاء على الأقوياء، أوبحق المرأة على الرجل، أوبحق المحكوم على الحاكم ..

لم تحدث ثورة، ولم تحدث مطالبة، ولكن دون أن يطالب الناس فإن رب الناس .. ملك الناس .. إله الناس، هوالذى قرر لهم هذه الحقوق ..

أعلن النبى ﷺ ميثاق حقوق الإنسان الأول فى حجة الوداع حينما نادى فى الشهر الحرام والبلد الحرام : أيها الناس :« ...إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ..» لا يحل لأحد أن يعتدى على دم أحد .. على حياة أحد .. على عرض أحد . «ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ...» ..

فى حجة الوداع، وأمام هذه الجموع الهائلة، أبلغ النبى بلاغه الأخير للناس، قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى : إن الرب واحد، والأب واحد، وأن الدماء والأعراض والأموال مصونة، لا يجوز أن يعتدى عليها، وأن الناس سواسية كأسنان المشط ..

قررت حقوق الإنسان بناء على أن الناس عبيد لرب واحد ..

عقيدة التوحيد إذن هى الأساس الأول لتقرير حقوق الإنسان ، لم يعد هناك مجال لفرعون من الفراعنة ، يقول للناس : أنا ربكم الأعلى ، ولا لنمرود من النماريد يقول : أنا أحى وأميت ، ويقتل رجلا بغير حق ويقول : قد أمته ، ويحكم على رجل بالإعدام ثم يعفوعنه ويقول : ها قد أحييته ..

لم يعد هناك مجال لفرعون ونمرود ، إنما المجال الآن للراكعين الساجدين الموحدين، الذين يعلنون فى كل حين : أشهد أن لا إله إلا الله،الألوهية لله وحده ..

هذه الحقيقة هى بداية تحرير للإنسان ، من ظلمات القرون وظلم القرون ..

كان النبى ﷺ يختم رسائله إلى الملوك والأمراء - قيصر والنجاشى والمقوقس، وغيرهم من ملوك النصارى ورؤسائهم- بهذه الآية :

﴿... يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾[١٧] ..

ليس هناك أحد يمكن أن يكون ربا لأحد، ولا لأحد أن يكون عبدا لأحد..

---

(١٧) سورة آلعمران : آية رقم ٦٤

وجاء الإسلام بأول شريعة تعترف بكيان المرأة ومكانتها فى هذه الحياة. كانت المرأة منبوذة ولم يكن لها حق فى الميراث أوالثروة. ولم يكن يعترف بها كإنسانه. بل كانت. كما يقول :« القديس سوستام » مدخل الشيطان وإنسانه ناقضة لنواميس الله مشوهة لصورة « الله » أى الرجل !!

كما كان يقول « سوستام » :

إنها شر لابد منه. وآفة مرغوب فيها. وخطر على الأسرة والبيت ومحبوبة فتاكه ومصيبة مطلية مموهة ..!!

وفى القرن الخامس إجتمع مجمع « ماكون » للبحث فى المسألة الآتية :

* هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه أم أن لها روحا.

وأخيرا قرروا إنها خلومن الروح الناجية ماعدا أم المسيح .. !!

ولما دخلت أمم الغرب فى المسيحية كانت آراء رجال الدين قد أثرت فى نظرتهم إلى المرأة، فعقد الفرنسيون فى عام ٥٨٦ للميلاد (أى فى أيام شباب النبى ﷺ) مؤتمرا للبحث :

هل تعد المرأة إنسانا أم غير إنسان ؟

وأخيرا قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب ..

واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى حتى أن عهد الفروسية الذى كان يظن فيه أن المرأة احتلت شيئا من المكانة الإجتماعية حيث كان الفرسان يتغزلون بها ويرفعون من شأنها، لم يكن عهد خير لها بالنسبة لوضعها القانونى

والإجتماعى ، فقد ظلت تعتبر قاصرة لا حق لها فى التصرف بأموالها دون إذن زوجها ..

والحق أن عصر الفروسية يرينا بعض الشواهد الواضحة على هذا الإزدراء ، يروى فيها « إن الملكة بلانشفلور ذهبت إلى قرينها الملك تسأله معونة أهل اللورين . فأصغى اليها الملك ، ثم استشاط غضبا ، ولطمها على أنفها بجمع يده فسقطت منه أربع قطرات من الدم وصاحت تقول:(شكرا لك ، إن أرضاك هذا فأعطني من يدك لطمة أخرى حين تشاء) . ولم تكن هذه حادثة مفرده لأن الكلمات على هذا النحوكثيرا ما تتكرر ، كأنها صيغة محفوظة ، وكأنهما كانت اللطمة بقبضة اليد جزاء كل امرأة جْسرت في عهد الفروسية على أن تواجه زوجها بمشورة .. » .. !!!

« وفي سنة ١٧٩٠م بيعت امرأة في أسواق انجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تاويها ، وبقيت المرأة حتى سنة ١٨٨٢م محرومة من حقها الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة .. وكان تعليم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال فلما كانت اليصابات بلا كويل تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩م - وهى أول طبيبة فى العالم - كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها ، ويأبين أن يكلمنها ، ويزوين ذيولهن من طريقها احتقارا لها ، كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مسامها ، ولما اجتهد بعضهم فى إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلادلفيا الأمريكية ، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد وتصادر كل ما يستشير أولئك الأطباء .. ».

ومن الطريف أن نذكر أن القانون الإنجليزى حتى عام ١٨٠٥م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته ، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات .

فقد حدث إن باع إنجليزى زوجته عام ١٩٣١م بخمسمائة جنيه ، وقال محاميه فى الدفاع عنه : أن القانون الإنجليزى قبل مائة عام كان يبيح للزوج أن يبيع زوجته ، وكان القانون الإنجليزى عام ١٨٠١م يحدد ثمن الزوجة بستة بنسات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة .

فأجابت المحكمة بأن هذا القانون قد ألغى عام ١٨٠٥م بقانون يمنع بيع الزوجات أوالتنازل عنهن ، وبعد المداولة حكمت المحكمة على بائع زوجته بالسجن عشرة أشهر .

وقد حدث أن باع إيطالى زوجته لآخر على أقساط ، فلما امتنع المشترى عن سداد الأقساط الأخيرة قلته الزوج البائع .

ولما قامت الثورة الفرنسية (نهاية القرن الثامن عشر) وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة ، لم تشمل بحنوها المرأة ، فنص القانون المدنى الفرنسى على أنها ليست أهلا للتعاقد دون رضا وليها إن كانت غير متزوجة ، وقد جاء النص فيه على أن القاصرين هم : الصبى والمجنون والمرأة . ولاتزال فيه بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة .

وتتلخص المبادىء الإصلاحية التى أعلنها الإسلام على لسان محمد ﷺ فيما يتعلق بالمرأة فى المبادىء التالية :

أولا : إن المرأة كالرجل فى الإنسانية سواء بسواء، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾[١٨]

ويقول الرسول ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال »[١٩]

ثانيا : رفع عنها اللعنة التى كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئا منها وحدها، بل منهما معا.

يقول تعالى فى قصة آدم :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ... ﴾[٢٠]

ويقول عن آدم وحواء : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ... ﴾[٢١]

بل إن القرآن فى بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم وحده فقال :

﴿... وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[٢٢]

ثم قرر مبدأ آخر يعفى المرأة من مسئولية أمها حواء وهو يشمل الرجل والمرأة على السواء :

---

(١٨) سورة النساء : الآية رقم ١ .

(١٩) رواه أحمد وأبوداود والترمذى .

(٢٠) سورة البقرة : الآية رقم ٣٦ .

(٢١) سورة الأعراف : الآية رقم ٢٠

(٢٢) سورة طه : الآية ١٢١ .

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢٣)

ثالثا : إنها أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت، ومعاقبتها إن أساءت كالرجل سواء بسواء، يقول الله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢٤)

ويقول تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ... ﴾(٢٥)

رابعا: حارب التشاؤم بها والحزن لولادتها كما كان شأن العرب ولا يزال شأن كثير من الأمم ومنهم بعض الغربيين، فقال تعالى منكرا هذه العادة السيئة : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾(٢٦).

خامسا: حرم وأدها وشنع على ذلك أشد تشنيع فقال تعالى:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾)(٢٧).

---

(٢٣) سورة البقرة : الآية رقم١٣٤.

(٢٤) سورة النحل : الآية ٩٧.

(٢٥) سورة آل عمران : الآية ١٩٥.

(٢٦) سورة النحل : الآيات ٥٨ ، ٥٩.

(٢٧) سورة التكوير : الآيات ٨ ، ٩.

وقال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴾(٢٨).

سادسا : أمر بإكرامها : بنتا وزوجة ، وأماً .

أما إكرامها كزوجة ففى ذلك آيات وأحاديث كثيرة : منها قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ... ﴾(٢٩)

وقوله ﷺ : « خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة ، إن نظرت إليها سرتك ، وإن غبت عنها حفظتك »(٣٠)

أما إكرامها كأم ففى آيات وأحاديث كثيرة :

قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ... ﴾(٣١).

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال :

« من أحق الناس بصحبتى ؟ قال:أمك. قال: ثم من؟ قال : أمك . قال: ثم من ؟ قال:أمك . قال: ثم من ؟ قال : أبوك »(٣٢).

---

(٢٨) سورة الأنعام : الآية ١٤٠ .

(٢٩) سورة الروم : الآية رقم ٢١ .

(٣٠) رواه بألفاظ قريبه منه مسلم وإبن ماجه .

(٣١) سورة الأحقاف : الآية رقم ١٥ .

(٣٢) رواه البخارى ومسلم .

وجاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : أريد الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال له الرسول ﷺ : هل أمك حية ؟ قال : نعم ، قال : إلزم رجلها فثم الجنة .[٣٣]

سابعا : رغب فى تعليمها كالرجل .. وفى الحديث عنه ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٣٤] .

ثامنا : أعطاها حق الإرث : أما ، وزوجة ، وبنتا : كبيرة كانت أوصغيرة أو حملا فى بطن أمها ..

تاسعا : نظم حقوق الزوجين، وجعل لها حقوقا كحقوق الرجل،مع رئاسة الرجل لشئون البيت، وهى رئاسة غير مستبدة ولا ظالمة. قال تعالى :

﴿.. وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ...﴾[٣٥] .

عاشرا :نظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه وإستبداده فى أمره فجعل له حدا لا يتجاوزه ، وهوالثلاث ، وقد كان عند العرب ليس له حد يقف عنده وجعل لإيقاع الطلاق وقتا ، ولأثره عدة « أى : مدة » تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوئام .

الحادى عشر: حد من تعدد الزوجات فجعله أربعا وقد كان عند العرب وعند غيرهم من الأمم التى تبيح التعدد غير مقيد بعدد معين ..

---

(٣٣) (رواه الطبرانى .

(٣٤) رواه البيهقى.

(٣٥) سورة البقرة : الآية رقم ٢٢٨.

وقد عرض القرآن الكريم للمرأة فى عشر سور أوأكثر منها : سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة النساء، سورة المائدة، سورة النور، سورة الأحزاب، سورة المجادلة، سورة الممتحنة، سورة التحريم، وسورة الطلاق..

ففى سورة النساء تحدث القرآن الكريم عن الأصل الذى تكاثر منه الإنسان، وجعل المرأة شريكة الرجل فى تكوين ذلك الأصل، وجعله نعمة توجب على الإنسان التقوى والمراقبة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾(٣٦)

وجعل القرآن الكريم للمرأة حقا فى المبايعة على السمع والطاعة والقيام بحدود الشريعة وأحكامها. وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. بلا تفرقة بين رجل وإمرأة. ويقول العلماء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ... ﴾(٣٧) يقول المفسرون فى معنى الآية :

علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم ...

والمراد بالأهل النساء والأولاد ذكورا وإناثا ..

---

(٣٦) سورة النساء : الآية رقم ١

(٣٧) سورة التحريم : آية رقم ٦

وإذا كانت وقاية الأهل من نار الآخرة واجبة وهى لا تكون إلا بالتعليم والإرشاد إلى ما أوجبه الله من حقوق وواجبات ، فوقايتهم من نار الدنيا وهى الحياة المنغصة بالجهل والشقاء وعدم النظام لا تقل فى الوجوب عن الوقاية من نار الآخرة .

وقد قال الإمام محمد عبده كلاما فى تعليم المرأة يدل على أن التعليم الذى يوجبه الدين على المرأة ليس قاصرا على تعليم العقائد والآداب والعبادات . وإنما يتناول كل مناحى الحياة المختلفة .

ولم يقف القرآن الكريم بالمرأة عند حسد تسويتها بالرجل فى حق التعليم وحق حرية الرأى سوى بينهما فى حق التملك ومباشرة عقود التصرفات بجميع أنواعها ..

وجعل لها ملكا خاصا وجعلها صاحبة السلطان المطلق فى إدارته والتصرف فيه ، وحذر الرجل أن يمد يده إلى شىء منه إلا بإذنها ورضاها . وجعل لها الحق فى مباشرة العقود من بيع وشراء . وأباح لها أن توكل غيرها فى كل ما تملكه بنفسها وأن تتوكل عن غيرها فى كل ما يملكه . وأباح لها أن تضمن غيرها فى كل ما يملكه وأباح لها أن تضمن (أي : يضمنها غيرها) على غير نحوما أبيح للرجال فى كل هذه التصرفات . ولا نعلم أحدا من فقهاء الإسلام رأى أن النصوص الواردة فىالتصرفات المالية خاصة بالرجل دون المرأة ..

وقد جاء فى صحيح البخارى تحت عنوان « باب غزوالنساء وقتالهن » : (عن الربيع بنت معوذ قالت:

« كنا نغزومع رسول الله ﷺ نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » ..) .

(وعن أم عطية الأنصارية قالت :

«غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات . أخلفهم فى رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على الزمنى »..).

ولم يقف الإسلام بالمرأة فى هذا الميدان عند إباحة خروجها مجاهدة ، بل احترم أمانتها وجوارها ، فمن المتفق عليه ما روى عن أم هانىء قالت : (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل فقال : من هذه ؟ فقلت : أنا أم هانىء . فقال : مرحبا يا أم هانىء . فلما فرغ من غسله قام يصلى فلما انصرف . قلت : يا رسول الله زعم إبن أمى على إبن أبى طالب أنه قاتل رجلا قد أجرته . فقال النبى ﷺ : قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء ..).

فهل يجد الناس فى تشريع مثل هذا ؟

وجاء محمد بأول شريعة تحرر الأرقاء ، والعبيد ، وخصص جزءا من ميزانية الدولة لتحرير الأرقاء والعبيد ، وجعل تحرير العبيد كفارة لكثير من الخطايا والذنوب .

لقد كان الاسرائيليون يسترقون جميع النساء والأطفال فى البلد الذى يغلبونه ، أما الرجال فقد كانوا يضربون رقابهم بحد السيف ، ويفنونهم جميعا كما أمرتهم كتبهم المقدسة وقد جاء فى الإصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج : « إذا اشتريت عبدا عبرانيا فست

سنين يخدم، وفى السابعة يخرج حرا مجانا . إن دخل وحده فوحده يخرج . وإن أعطاه سيده إمرأة وولدت له بنين وبنات فالمرأة وأولادها يكونون للسيد وهويخرج وحده، ولكن إذا قال العبد : أحب سيدى وإمرأتى وأولادى لا أخرج حرا، يقدمه سيده لله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة، ويثقب سيده أذنه بالمثقب يخدمه إلى الأبد، وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد إن قبحت فى عينى سيدها الذى خطبها لنفسه يدعها تفك وليس له سلطان أن يبيعها لقوم اجانب لغدره بها ».

وفى سفر التكوين : أن حام بن نوح- وهوإبن كنعان - كان قد أغضب أباه لأن نوحا سكر يوما ثم تعرى وهونائم فى خبائه . فأبصره حام كذلك، فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه غضب ولعن نسله الذين هم كنعان وقال : « ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته » ..

وفى الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين « ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام . وليكن كنعان عبدا لهم » وبذلك يكون الرق عند اليهود نظاما معترفا به فى كتبهم المقدسة ..

وجاء الدين المسيحى فأقر الرق الذى أقره اليهود من قبل ونص القديسون على شرعية خدمة الرقيق لساداتهم وليس فى الإنجيل نص يحرمه أويستنكرهن ..

بل كان بولس الرسول يوصى فى رسائله بإخلاص العبيد فى خدمة ساداتهم فقال فى رسالته إلى أهل « أفسس » :

(أيها العبيد : أطيعوا ساداتكم - بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح ولا بخدمة العين كمن يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس . عالمين أنه مهما فعل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان أم حرا ؟)..

كما أوصى الرسول بطرس بهذه الوصية ، وأضاف القديس الفيلسوف « توما الأكوينى » رأى الفلاسفة إلى رأى الرؤساء الدينيين فلم يعترض على الرق بل أيده وزكاه لأنه كما يقول أستاذه أرسطو حالة من الحالات التى خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية .

وفى المعجم الكبير للقرن التاسع عشر « لاروس » : « لا يعجب الإنسان من بقاء الرق - واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم فإن نواب الدين الرسميين يقرون صحته ويسلمون بمشروعيته وأن الدين المسيحى ارتضى الاسترقاق تماما إلى يومنا هذا وتعذر على الإنسان أن يثبت أنه سعى فى إبطاله » ..

وفى قاموس الكتاب المقدس للكتور « جورج يوسف » قال :

إن المسيحية لم تعترض على العبودية من وجهها السياسى والإقتصادى ولم تقل شيئا ضد حقوق أصحاب العبيد ولا حركتهم إلى طلب الإستقلال ولا بحثت عن مضار العبودية ولا عن قساوتها . ولم تأمر بإطلاق العبيد وبالإجمال لم تغير النسبة الشرعية بين العبد والسيد بل العكس هوالواقع فقد أكدت حقوق كل من الفريقين وواجباته ..

وقبل سنوات قامت ضجة عالمية حول ما أثير عن الكنيسة الكاثوليكية وقيامها بحملات منظمة لبيع وشراء الفتيات من ولاية (كيرالا) الهندية ..

وفى التحقيق الذى قامت به السلطات المسئولة فى الحكومة الهندية المركزية وفى حكومة الولاية إعترف الكاردينال المسيحى أن هذه العملية وغيرها من عمليات الرقيق التى تمارسها الكنيسة كانت تتم تحت إشراف البابا وبعلمه .. وكان من الممكن أن تبقى هذه الجريمة سرا لولا وقوع بعض الفتيات فى قبضة البوليس الإيطالى والألمانى بتهمة ممارسة أعمال غير مشروعة .. وبسؤال الفتيات عن كيفية مجيئهن إلى إيطاليا وألمانيا أجبن : أن الرهبان قاموا بشرائهن من الهند ووضعوهن فى أديرة تمهيدا لسلوك طريق الرهبنة ولكنهن آثرن حياة المجون والفسق على الحياة داخل أديرة الكنيسة الكاثوليكية ..

وعندما إتصلت أوربا بإفريقيا كان هذا الإتصال مأساة إنسانية عرضت سكان هذه القارة لليل طويل خمسة قرون متوالية ..

فإن الدول الأوربية نظمت إختطاف هؤلاء المساكين واجتلابهم إلى بلادها لتكلفهم بأشق الأعمال ..

فلما اكتشفت أمريكا آخر القرن الخامس عشر إزداد البلاء النازل بهؤلاء الإفريقيين التعساء وتقول دائرة المعارف البريطانية (جـ ٢ ص٧٧٩) :

إن اصطياد الرقيق من قراهم المحاطة بالأدغال كان يتم بإيقاد النار فى الهشيم الذى صنعت منه الحظائر المحيطة بالقرى حتى إذا نفر أهالى القري إلى الخلاء تصيدهم الإنجليز بما أعدوا لهم من وسائل وشراك[٣٨] ..

لقد بلغت تجارة الرقيق أوجها قبل حرب الإستقلال الأمريكية وكانت قواعدها فى ليفر بول ولندن وبريستول ولانكشاير ..

وكانت الملكة اليزابيث الأولى تشارك فيها وأعارت التجار بعض أساطيلها وكانت شريكة « لجون هوكنـز » أكبر تاجر رقيق فى تاريخ العالم ، وقد رفعته الملكة إلى مرتبة النبلاء وجعلت شعاره « رقيقا يرفل فى السلاسل والقيود» .. ومن المفارقات الطريفة أن السفينة التى أعارتها - الملكة - لجون هوكنز كانت تسمى « يسوع » وكان مخصصا للإبحار بالرقيق من الموانىء المذكورة إلى مواطن الإستعباد ١٩٢ سفينة تتسع حمولتها فى الرحلة الواحدة لحوالى ٤٧١٤ رقيقا .. وقد طلبت انجلترا من رجال الدين المسيحى مبررا لهذه التجارة فأسعفوها بنصوص التوراة التى تقدمت فى الكلام على الرق عند اليهود ، وبمتقضى هذه الفتوى كان استعباد الزنوج واجبا عند الأوروبيين لأنهم من سلالة « يافث بن نوح » الذى كتب على ذريته الإسترقاق كما تزعم ذلك أسفار العهد القديم ..



(٣٨) وقد عرض لهذه المأساة الكاتب الزنجى الأمريكى فى كتابه الجذور « ROOTS »

وجاء محمـد بأول دولة تقوم على التكافل والتعاطف وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

وهذا التكافل والتعاطف لهما صورتان[٣٩] :

*** صورة مادية :**

وسبيلها مد يد المعونة فى حاجة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وتفريج كربة المكروب، وتأمين الخائف، وإشباع الجائع، والمساهمة العملية فى إقامة المصالح العامة، وقد دعا القرآن الكريم إلى هذا التعاون المادى وحث عليه، واستنهض الهمم فيه، وأطلق عليه جملة من العناوين المحببة فيه، الداعية إليه. أطلق عليه عناوين « إحسان، زكاة، صدقة، حق، إنفاق، فى سبيل الله » ثم طلبه بصفته ركنا من أركان الدين وبصفته فضيلة إنسانية وأوجبه فى أصناف المال كله : نقده، وزرعه، وماشيته. أوجبه للفقير على الغنى، وأوجبه للفقير على الفقير، وكان ذلك منه تدريبا للفقير على الإعطاء، والمساهمة فى سد الحاجات بقدر ما يستطيع، وليدرك لذة اليد العليا، فيسعى فى تحصيل الأموال، وتكون له اليد العليا على الدوام، وليجد فى ضميره ما يدفعه إلى المعونة الكبرى متى وجد إليها سبيلا، ولعل أوضح شاهد لذلك ما شرعه الإسلام فى آخر شهر رمضان من كل عام بإسم « زكاة الفطر » ..

---

(٣٩) الإسلام عقيدة وشريعة – الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - ص٤٣٦ وما بعدها ..

*** وصورة أدبية :**

ونعنى بها تكافل المسلمين جميعا وتعاونهم المعنوى بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه ..

وقد أعطاه القرآن الكريم إسما كريما يحببه إلى النفوس ، ويغرى به العقول والقلوب ، فسماه « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ولاشك أن كلمة « المعروف » عنوان أخاذ يجذب إليه القلوب ، ويحمل على الأمر به ، وأن كلمة « المنكر » من شأنها أن تبشع الشر والفساد وأن تثير النفوس عليهما ، وأن توجه إليهما من الجماعة حربا لا هوادة فيها ..

والإسلام يجعل هذا التكافل الأدبى فريضة لازمة على كل مسلم ، بل جاء على لسان الرسول « ﷺ » أنه الدين كله بالنسبة إلى جميع الطبقات «الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»..

وقد طلبه الله على وجه خاص من القادرين عليه ، الواقفين على حدود الله ، ورتب عليه الفلاح المطلق :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾(٤٠) ..

وجعل له شأنا من شئون المؤمنين ، وألبسه ثوب الولاية :

---

(٤٠) سورة آل عمران : الآية رقم ١٠٤

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(٤١) ..

وقد صور رسول الله ﷺ صلة المسلم بالمسلم بقوله : « المؤمن مرآة المؤمن » وفى بعض الآثار « المسلم للمسلم كاليدين تغسل إحداهما الأخرى » ..

هكذا فهم المسلمون الأولون مبدأ مسئولية المؤمنين بعضهم عن بعض، فقاموا بالنصح والإرشاد : ينصح عالمهم جاهلهم، ويرشد كبيرهم صغيرهم، بل لقد نصح الصغير الكبير، والمرءوس الرئيس، والمحكوم الحاكم، وتقبل الجميع من الجميع شاكرة ألسنتهم، مطمئنة قلوبهم، فاستقامت لهم الأمور، وتقدمت بهم الحياة، وكانوا أقوياء وغيرهم الضعيف وأعزاء وغيرهم الذليل. وظلوا كذلك يتعاونون على البر والتقوى ويتناصحون بالخير والمعروف، حتى نبتت فيهم نابتة الشهوة والهوى فأفسدت عليهم تصورهم للحياة، وظنوها مادة عليها يتنافسون، وأموالا وجاها بها يتفاخرون ويتكاثرون، وبذلك ضعف ما تكنه قلوبهم نحوروابط الإيمان، فضعف شعورهم بتلك المسئولية، فنظر بعضهم إلى بعض كوحدات مبعثرة لا يضم شتاتها رباط، وأنساب كل منهم فى مهاب الشهوة والهوى، وعندئذ رأى الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر قد يغضب عليهم الناس. أويمنعهم متاع الحياة، أويفقدهم النفوذ والجاه، فعاشروا الناس على ما يعلمون منهم ويعرفون فيهم،

(٤١) سورة التوبة : الآية رقم ٧١

فألف الناس المنكر، وأنكروا المعروف وأصبح التوجيه للحق عليهم ثقيلا والموجه المخلص بينهم دخيلا ..

ولقد قص الله علينا مصير الأولين من الأمم التى تركت هذه المسئولية، فحل بها من الويلات ما حل :

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾(٤٢)

وجاء على لسان النبى ﷺ :

« لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ودخل النقص عليهم فى دينهم نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ولم يمنعهم العصيان عن مخالطتهم فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ففرق كلمتهم وأذلهم وشتت شملهم . ثم قرأ :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ..(٤٣)

---

(٤٢) سورة هود : الآية ١١٦ ..

(٤٣) سورة المائدة : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

جاء محمد ليعلن إن البشر - كما يقرر القرآن الكريم - إخوة .. وأبناء لأب واحد وأم واحدة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾[44]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ... ﴾[45] ..

والإنسان فى كتابنا السماوى المقدس هوأكرم مخلوقات الله وخليفته فى أرضه .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[46] ..

ولأنه : « أى : الإنسان » خليفة عن الله فى الأرض . وكان أكرم مخلوقاته بين الناس . فما نراه حولنا فى هذا الكون من عوالم . عالم النجوم والكواكب . وعالم الحيوان والنبات . وعالم الطير والجماد .. وكل ما عرف فوق سطح هذه الأرض من جبال وبحار وما خفى فى أعماقها من معادن وثروات كل هذه العوالم خلقت من أجل هذا الإنسان وسخرت بإرادة الله لتكون فى خدمة هذا الإنسان ..

---

(٤٤) سورة النساء : الآية رقم ١ .

(٤٥) سورة الحجرات : الآية رقم ١٣ .

(٤٦) سورة البقرة : الآية رقم ٣٠ .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[٤٧]..

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[٤٨].

ولأن البشر كلهم إخوة، وكرامتهم عند الله واحدة، فقد محا الإسلام بكلمة واحدة كل أسباب التفرقة، وأسقط كل المزاعم التى تميز إنسانا على إنسان بالجنس أواللون أوالطبقة ..

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴾[٤٩].

أجل .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. هذا هوالميزان الحق الذى يوزن به الناس .. فالعدالة الإسلامية ترفض أى إمتياز لإنسان على آخر

(٤٧) سورة النحل : الآية رقم ١٢.

(٤٨) سورة النحل : الأيات ١٣:١٥ .

(٤٩) سورة الحجرات : الآية رقم ١٣.

بسبب اللون أو الجنس.. ولم يؤثر أويعرف عن مفكرى الإسلام أوفقهائه قول يخالف هذه القاعدة التى أرسى قواعدها القرآن والنبى (ﷺ) .. ولم يقل أحد من المسلمين ما قاله (منتسكيو) عن الجنس الأسود بأن الله – جل وعلا – أحكم من أن يضع روحا فى جسد أسود ..[٥٠].. !!

ولم يقل أحد من المسلمين ما قاله « الكونت الفرنسى جوزيف آرثر» بأن : كل شىء عظيم أونبيل أومثمر فى أعمال الإنسان على ظهر الكوكب، فى الفن والحضارة، يصدر من نقطة إنطلاق واحدة، وينتج عن تطور جرثومة واحدة ... وينتمى لأسرة واحدة بعينها سادت فروعها المختلفة فى جميع أقطار العالم المتحضرة ... فالتاريخ يبين أن الحضارة بأسرها مصدرها الجنس الأبيض، وأنه لا يمكن لأية حضارة توجد بغير عونه، وأن أى مجتمع لا يعظم ولا يتألق إلا حافظ على دم الجماعة النبيلة التى خلقته[٥١]..

إن الإسلام ينظر إلى الإنسانية كحديقة كبيرة تختلف ألوان أزهارها دون أن يكون للون فضل على لون .. أولصورة على صورة ..

استمع إلى هذا الحديث الذى يقول فيه النبى ﷺ:

(٥٠) د/ عبد العزيز كامل - التفرقة العنصرية - القاهرة ١٩٦٣م ..

(٥١) دروس من التاريخ – (ويل ديورات) - الطبعة العربية – ..

« أنا سابق العرب .. وصهيب سابق الروم - وكان رقيقا من الروم - .. وسلمان سابق الفرس - وكان رقيقا من الفرس - .. وبلال سابق الحبش - وكان أسود رقيقا من الأحباش .. » ..

ويقول النبى ﷺ :

« لينهين قوم يفخرون بآبائهم أوليكونن عند الله أهون على الله تعالى من الجعلان - الحرباء -» ..

فليس لعربى على عجمى فضل ..

وليس لأسود على ابيض فضل ..

ولا لأبيض على أسود فضل .. إلا بالتقوى »[٥٢]

بل نقرأ : إن أبا سفيان - وكان من أشراف قريش المحاربين للإسلام - مر على سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى وبلال الحبشى - فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله .. وسمع ذلك أبوبكر فقال : أتقولون هذا لشيخ قريش ؟

وذهب أبوبكر وأخبر النبى ﷺ بما سمع وبما قال.

فقال النبى ﷺ لأبى بكر :

« يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك » !!

---

(٥٢) أنظر سيرة ابن هشام . وامتاع الأسماع . وغيرهما من كتب السيرة النبوية . والبخارى ومسلم ..

فأتاهم أبوبكر وقال :

- يا اخوتاه أ أغضبتكم ؟

- ما غضبنا يغفر الله لك ..

وكان عمر يقول :

(أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا) - يعنى . بلالا - الذى كان رقيقا - وقد تزوج بلال أخت عبد الرحمن بن عوف (القرشى التاجر الكبير) .

وأعتق الإمام الحسين جارية ثم تزوجها فكتب اليه معاوية يقول :

كيف تتزوج جارية ؟

فقال الإمام الحسين :

(لقد رفع الله بالإسلام الخسيسة ووضع عنا به النقيصة)..

والقرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى يعترف بما سبقه من الكتب السماوية ويفرض على المسلم الإيمان بها إيمانه بالقرآن نفسه ..

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ... ﴾[٥٣]

فمن آمن بالقرآن ولم يؤمن بالإنجيل والتوراة - كما أنزلا من عند الله - فهو ليس مسلما ..

---

(٥٣) سورة البقرة : الآية رقم ٢٨٥

والقرآن يؤمن بجميع الأنبياء والرسل من لدن آدم إلى المسيح ومحمد عليهما السلام ..

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[٥٤] ..

فمن آمن بمحمد ولم يؤمن بأى نبى آخر ذكره القرآن فهو ليس مسلما ..

ومن حقائق القرآن التى تدل على شمول عقائده، أنه يعتبر رسالة الأنبياء جميعا واحدة وهى (الإسلام) والإختلاف بين رسالة ورسالة إنما هواختلاف إقتضته الطبيعة البشرية طبقا لتطور الإنسان من مرحلة إلى مرحلة. فإذا كان الإنسان يولد طفلا ثم يموت شيخا، وكان لكل مرحلة من مراحل عمره ما يناسبها من الغذاء والتربية . فكذلك كانت الإنسانية فى مراحلها الأولى كما قرر ذلك علماء الإجتماع والتربية ..

يقول القــرآن :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ... ﴾[٥٥] ..

---

(٥٤) سورة البقرة : الآية رقم ١٣٦

(٥٥) سورة الشورى : الآية رقم ١٣

وفى هذا يقول النبى محمد ﷺ :

« مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » ..

ولما كان من معانى الإسلام « الإنقياد والخضوع لله » فإن القرآن يعتبر كل ما فى هذه الحياة مسلما، لأن كل ما فى الحياة خاضع لقوانين الله ومشيئته فى الخلق والحياة ..

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ...﴾ (٥٦) ..

بل يعتبر القرآن عالم الحيوان والطير أمة من الأمم، لها حقوق يجب أن تلتزم وتعامل بأسلوب يراعى ويحترم ..

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا ...﴾ (٥٧) ..

وفى هذا يقول نبى الإسلام محمد ﷺ :

« بينما رجل يمشى فى الطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها وشرب ثم خرج ..

(٥٦) سورة آل عمران : الآية رقم ٨٣

(٥٧) سورة الأنعام : آية رقم ٣٨ .

فرأى كلبا يلهث ، يأكل الثرى من العطش. فقال الرجل : قد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ بى ..

فنزل البئر . فملأ خفه ثم أمسكه بفيه « أى : فمه » فسقى الكلب . فشكره الله . فغفر له ..

قالوا – أى:أصحاب النبى – يا رسول الله .. وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟

فقال : (فى كل ذات كبد رطبة أجرا » ..

وقال نبى الإسلام ﷺ :

« لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر إنما سخرها الله لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس » ..

وحين رأى ﷺ أحد أصحابه يحمل طائرا فى يده ونظر أم هذا الطائر تحوم فوق رأسه . اعترض على هذا العمل وقال :

« من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها » ..

وقال :

« ما من مسلم يغرس غرسا أويزرع زرعا فيأكل منه طير أوإنسان أوبهيمة إلا كان له به صدقة » ..

وفى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر على بال أحد ..

فهم يقررون : إن نفقة الحيوان واجبة على مالكه . فإن امتنع أجبر على بيعه أوالإنفاق عليه .. !!

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا :

إذا لجأت قطة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه لأنها لا تستطيع الذهاب إلى مكان آخر .. !!

وقالوا أيضا : إن لكل حيوان طاقة خاصة فلا ينبغي أن يحمل حيوان أكثر من طاقته .. وحددوا لكل نوع من أنواع الدواب أقصى ما يمكن أن يتحمله ..

وأكثر من هذا : فإن أغنياء المسلمين كانوا يوقفون بعض أملاكهم لرعاية الحيوانات المسنة والمريضة . وإطعام الكلاب والقطط الضالة .

وفى تاريخنا نقرأ قصة إمام اسمه (أبو اسحاق الشيرازى) ..

هذا الإمام كان يمشى فى طريق مع بعض أصحابه . فتعرض لهم كلب كان يمشى فى الطريق ، فحاول بعض أصحاب هذا الإمام زجر هذا الكلب وإرغامه على الفرار والهرب . فصاح الإمام فيهم قائلا :

اتركوا الكلب وشأنه .. أما علمتم أن الطريق مشترك بيننا وبينه !!

كما أن للمسيحيين واليهود - فى الإسلام - معاملة خاصة . ومكانة خاصة .. كما يعرفون فى الإسلام بإسم (أهل الذمة) فهم (أهل ذمة) والذمة معناها العهد ، والضمان ، والأمان ، وإنما سموا بذلك لأن لهم عهد الله . وعهد رسوله . وعهد جماعة المسلمين . أن يعيشوا فى حماية الإسلام آمنين مطمئنين ، فلهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات ..

وعلى الإمام أوولى الأمر فى المسلمين بما له من سلطة شرعية ، وما لديه من قوة عسكرية ، أن يوفر لهم هذه الحماية ..

وكما يقول بعض الفقهاء :

(يجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يؤذيهم، وفك أسرهم ، ودفع من قصدهم بأذى إن لم يكونوا بدار حرب ، بل كانوا بدارنا ، ولوكانوا منفردين ببلد) .

وعلل ذلك بأنهم : (جرت عليهم أحكام الإسلام وتأبد عقدهم ، فلزمه ذلك كما يلزمه للمسلمين)[٥٨]..

وينقل الإمام القرافى المالكى فى كتابه (الفروق) قول الإمام الظاهرى ابن حزم فى كتابه (مراتب الإجماع) :

(إن من كان فى الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك ، صونا لمن هوفى ذمة الله تعالى وذمة رسوله « ﷺ » فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة[٥٩] .. وحكى فى ذلك إجماع الأمة .. وعلق على ذلك القرافى بقوله : (فعقد يؤدى إلى إتلاف النفوس والأموال صونا لمقتضاه عن الضياع – إنه لعظيم)[٦٠]..

---

(٥٨) مطالب أولى النهى – جزء ٢ صفحة ٦٠٢ و٦٠٣ ..

(٥٩) الفروق - جزء ٣ صفحة ١٤ :١٥ – الفرق التاسع عشر والمائة ..

(٦٠) نفس المصدر السابق . وأنظر فى هذا أيضا : غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى – د/ يوسف القرضاوى – ، وأهل الذمة – د/ قاسم عبده قاسم ..

ومن المواقف التطبيقية لهذا المبدأ الإسلامى ، موقف شيخ الإسلام ابن تيميمة حينما تغلب التتار على الشام ، وذهب الشيخ ليكلم « قائد التتار » فى إطلاق الأسرى فسمح القائد التترى للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال :

لا نرضى إلا بإفتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ، ولا ندع أسيرا ، لا من أهل الذمة ، ولا من أهل الملة .. فلما رأى إصراره على ذلك أمر بإطلاق سراحهم ..

ولوشئنا أن نعبر عن جميع تعاليم الإسلام بإسلوب موجز، جاز لنا أن نعبر عنها بهاتين الكلمتين الوجيزتين : الإيمان ، والعمل الصالح[٦١] فهاتان الكلمتان تشملان جميع ما جاءت به رسالة محمد ﷺ وتحيطان بكل ما أكملته من عقيدة ، وعمل ، وخلق ، وحسن معاملة . فهما قوام الإسلام وزبدة ما جاء به محمد رسول الله ، وهما فى الواقع قوام الفلاح والنجاة وملاك السعادة . فمن آمن بالله إيمانا لا يزعزعه

(٦١) والإيمان الإسلامى بضع وسبعون شعبة ، وقد استقصاها أعلام الإسلام فرأوها تدور حول شيئين لا ثالث لهما : الحق ، والخير . وكل شعبة من شعب الإيمان الإسلامى لا ريب أنها تدخل إما فى باب الحق ، أو فى باب الخير . والعمل الصالح هوعمل المؤمن بما هو مؤمن به ، فلا يكون العمل صالحا إلا اذا كان من عمل الحق أومن عمل الخير وهذا هوالإسلام ..

شىء ، وأطاع الله فيما أمر به من حق وخير وعمل بذلك عملا صالحا لا يشوبه سوء ، أفلح ونجا ، وقد وصف الله فى كثير من الآيات شأن المؤمنين الذين يؤمنون بالله ويعملون عملا صالحا وبشرهم تارة بقوله (أولئك هم المفلحون) وتارة بأنهم (أولئك هم الفائزون) . فالفلاح البشرى والفوز الإنسانى يرجع إلى الإيمان بالله والعمل الصالح بما أمر ..

لقد عاشت تعاليم الأنبياء لأنهم كانوا قدوة وكانت حياتهم وقفا على تجسيد تعاليمهم فى الفرد والمجتمع والأسرة ، وكان رسولنا محمد صلوات الله عليه هوالمثل الأعلى لهذه الحقيقة ..

لكن لماذا محمد بالذات هو النبى المختار للإتباع والإسوة ؟

لماذا كان النبى العربى ﷺ هووحده المرشح للقيادة ؟

ذلك .. لأنه من أجل أن تقتدى بإنسان فلابد وأن تعرف كل شىء يتصل بهذا الإنسان .. كيف نشأ ؟ وكيف عاش ؟ طريقته فى الحياة ، أسلوبه فى العمل .. نظرته إلى الناس . إيمانه بالدعوة .. وسيلته فى التطبيق ، حياته الخاصة . أحواله فى البيت والأسرة . سياسته فى الحكم والحرب والسلام ..

كم نبى عرف عنه كل ذلك ؟ إنه محمد وحده ..

لكن .. لماذا ؟

إن موسى عليه السلام لا نعلم عن حياته حسب الأسفار الخمسة من التوراة إلا قتاله وقيادته فى الحرب . أما النواحى الأخرى من حياته كالحقوق فى أمور الدنيا ، والفرائض والواجبات فلا نكاد نعرف عنها

إلا القليل النادر ... ومن يحاول أن يقف على ما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين الزوج وزوجه، والوالد وولده. وشروط الصداقة بين الصديقين وشروط الهدنة بين المتحاربين وكيف ينفق المرء أمواله وكيف يعامل الفقراء واليتامى ... ومن يحاول أن يعرف شيئا من كل ذلك، وكان نبيا من أولى العزم. وعاش مائة وعشرين سنة ...

وعيسى عليه السلام الذى يبلغ أتباعه قرابة خمسمائة وألف مليون فى العالم ؟ لقد بذل العلامة الفرنسى « رينان » قصارى جهده ليقف على حياته كاملة. ومع كل ذلك لاتزال هذه الحياة سرا مكنونا فى ضمير الزمن لم يبح به بعد ..

إن عيسى عليه السلام عاش فى هذه الدنيا ثلاثا وثلاثين سنة كما يقول الإنجيل وكل ما ذكر عن حياته فى هذه الأناجيل لا يكاد يتجاوز السنوات الثلاث الأخيرة من حياته فنحن لا نعرف عن حياته إلا أنه ولد. وهاجر وأمه إلى مصر وأراه الله آية أو آيتين فى صباه ثم غاب عن الناس وظهر لهم وهوفى الثلاثين من عمره، فتراه قائما يعظ الملاحين وصيادى الأسماك على الشواطىء وفى بعض الربوات. فصحبه جماعة من الحواريين وحاور اليهود وناظرهم فى بعض الأحيان حتى أثاروا عليه الرومان، ورفع أمره إلى محكمة يرأسها قاض من الروم فقضى عليه بالصلب، وبعد ثلاثة أيام وجد قبره خاليا من جسده عليه السلام ..

هذا ما تقوله الأناجيل عن حياته. ولكن أين قضى عيسى الثلاثين أوالخمس والعشرين سنة على الأقل من حياته ؟ وفيم قضاها ؟ وبأى الأعمال شغل هذا الفراغ الواسع من عمره ؟

إن الدنيا لا تعلم عن كل ذلك شيئا ولن نعلم ، والثلاث السنوات الأخيرة من حياته ماذا نعرف عنها : آيات ومعجزات معدودات ، وبعض العظات . ثم المحاكمة .. ورفعه بعد ذلك إلى السماء ..

لقد ألقى « باسورث سميث » عضو كلية التثليث فى جامعة اكسفورد ١٩٤٧م محاضرات عن (محمد والإسلام) نقتطف منها هذه العبارات :

نحن لا نعلم من حياة « يسوع » إلا شذرات تتناول جانبا صغيرا من حياته المتنوعة ومن ذا الذى يستطيع أن يكشف لنا الستار عن شؤون ثلاثين عاما هى تمهيد للثلاثة أعوام الأخيرة من حياته فقط .. وما الذى نعلمه عن أمه ؟ وعن حياته فى بيته ؟ وما الذى نعلمه عن أصحابه الأولين ؟ وعن حواريه وكيف كان يعاملهم ؟ وكيف تدرجت رسالته فى الظهور ؟ وكيف فاجأ الناس بدعوته ؟ وكم من أسئلة تجيش فى نفوسنا ولن يستطيع أحد أن يجيب عليها إلى يوم القيامة ؟

ويقول سـميث :

أما الإسلام فأمره واضح كله ، ليس فيه سر مكتوم عن أحد وليس فى حياة نبيه غموض لم يكشف ولا تجد فيما كتب عنه أمورا مبهمة ، ولا أساطير ولا خرافات . والأمر كله واضح وضوح النهار كأنه الشمس يرى الناس تحت أشعة نورها كل شيء ..

وقد كتب « جون ديوى يوت » سنة ١٨٧٠م كتابا بالإنجليزية فى سيرة النبى جعل عنوانه (إعتذار إلى محمد والقرآن) ..

يقول فى مقدمة هذا الكتاب :

لا ريب أنه لا يوجد فى الفاتحين والمشرعين من يعرف الناس حياته ، وأحواله أكثر تفصيلا وأشمل بيانا مما يعرفون من سيرة محمد « صلى الله عليه وآله وسلم » وأحواله ..

يقول العلامة « سليمان الندوى »[٦٢] :

كان الواعظ الذائع الصيت الأستاذ حسن على - رحمه الله - يصدر فى (BETNAH) قبل خمسين عاما مجلة « نور الإسلام » . وقد قال فى جزء منها :

إن صديقا له من البراهمة قال له :

إنى أرى رسول الإسلام أعظم رجال العالم وأكملهم . فقال له الأستاذ حسن على وبماذا كان رسول الله عندك أكمل رجال العالم ؟

فقال الرجل الهندوسى : لأنى أرى خصالا لم تجتمع كلها فى رجل واحد وفى آن واحد .. وبهذا الكمال والرقى ، والرفعة والسمو ..

لقد كان محمد ملكا دانت له أوطانه بالطاعة ومع ذلك فهو متواضع فى نفسه يرى أنه لا يملك من الأمر شيئا . وأن الأمر كله بيد ربه .. وتراه فى غنى عظيم تأتيه الأموال بالخزائن إلى عاصمة ملكه ويبقى مع ذلك محتاجا ولا توقد فى بيته نار لطهى الطعام ولعدة أيام . وكثيرا ما يطوى على الجوع : ونراه قائدا عظيما يقود الجند القليل

(٦٢) كان من أشهر علماء المسلمين فى الهند قبل الإستقلال وقد نقلنا هذه المقتطفات من كتابه (محاضرات فى السيرة النبوية) صفحة ٨٣ وما بعدها ..

العدد فيقاتل بهم ألوفا من الجند المدجج بالسلاح ويهزمهم شر هزيمة ، ونشاهده بطلا شجاعا يصمد وحده لآلاف من أعدائه غير مكترث بهم ، وهو مع ذلك رقيق القلب متعفف عن إراقة قطرة دم . ونراه مشغولا بجزيرة العرب كلها بينما لا يفوته أمر من أمور بيته وأزواجه وأولاده . ولا أمر من أمور فقراء المسلمين ومساكينهم ، لقد كان إنسانا يهمه أمر العالم كله وهومع ذلك متبتل إلى الله منقطع عن الدنيا فهوفى الدنيا وليس فيها لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضى الله . لم ينتقم من أحد قط لذات نفسه ، وكان يدعو لعدوه بالخير .

وتراه رسولا حصيفا ونبيا معصوما فى الساعة التى تتصوره فيها فاتحا للبلاد ظافرا بالأمم وإنه ليضطجع على حصير له من خوص ، وينام على وسادة حشوها ليف .. ويعيش أهل بيته في فاقة في الوقت الذي تتجمع فيه الغنائم العظيمة في فناء مسجده - فيفرقها على الفقراء والمحتاجين ولا ينال أحد من أهله أوأهل بيته نصف درهم . فإذا كانت شخصية الرسول العربى هى الشخصية النموذجية الكاملة ، وكان - بحياته وأقواله وأعماله - مثالا يحتذى به فى كل خطوة .

فأين تقف رسالته من هذا الشمول الجامع ؟

وما هى أبعادها الفكرية والعقدية فى هذا العالم المتصارع .. ؟

يقول المرحوم العلامه سليمان الندوى :

لقد توزعت الدنيا - قبل بعثة النبى - عقائد باطلة . وأوهام سخيفة . كان أهل كل دين فى أية مملكة من الممالك يحسبون أن مملكتهم هى الدنيا فقط .. فكان براهمية الهند ومتصوفوها يرون أن

بلادهم هى أرض الله المختارة وما خرج عنها فلا نصيب له من رحمة الله .. وكذلك قال « زرادشت » الذى أعلن أن بلاده هى المقدسة دون غيرها من أرض الله . وكذلك قال بنوإسرائيل فهم أساتذة هذا النوع من الإدعاء والإفتراء والزعم ..

والمسيح عليه السلام أعلن أنه لم يرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة .. وقد جاء فى الإصحاح السابع من إنجيل مرقس أن إمرأة بابنتها روح نجس سمعت به (أى المسيح) فأتت وخرت عند قدميه وكانت المرأة أممـية أى من أبناء الأمم غير الإسرائيلية . فسألته أن - يخرج الشيطان من ابنتها وأما يسوع فقال لها : دعى البنين أولا يشبعون لأنه ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ..

هكذا تزعمون أن المسيح العظيم يقول هذا الكلام عن المرأة التى أصاب إبنتها مرض أو مس !!

فهل يتصور مثل هذا الكلام عن المسيح الرب !!
كما تعتقدون أيها الأب !!



مكانة
العلم والعقل
في المسيحية وفي الإسلام

تعرف المسيحية بين الأديان بأنها دين يعتمد على الخوارق والمعجزات لا على الفكر والعقل .. وإلا فمن يصدق أن الثلاثة تساوى واحدا وأن الواحد يساوى ثلاثة .. !!

وكما يقول « رينان » إن المسيحية دين يرفض العقل ولا يقبله العقل .. !!!

فى زيارة إلى مدينة كمبردج (CAMBRIDG) التقيت بأحد القساوسة الذى كنت قد تعرفت عليه فى رحلة من القاهرة إلى لندن واسمه « جيمس تد » (JEMS TD).

لقد أنس الرجل بى وأنست به ثم اتفقنا على اللقاء معا فى مدينة كمبردج .

فى كلية التثليث بجامعة كمبرج التقينا بمجموعة من الدارسات اليابانيات اللاتى كن فى رحلة علمية هناك كان هؤلاء الدارسات يتحدثن مع أحد القساوسة عن « قانون الإيمان » عند المسيحية . إلا أن الفتيات لم يفهمن من شرحه شيئا ..

فطلبت من الأب « جيمس تد » أن يتفضل بشرح « قانون الإيمان » للدارسات اليابانيات بعد فشل صاحبه القس فى إقناعهن ..

قال الأب جيمس :

يقول هذا القانون :

« نؤمن بالله الواحد . الأب . مالك كل شيء . وصانع كل شيء ما يرى وما لا يرى .

ونؤمن بالرب المسيح ابن الله . بكر الخلائق كلها . ولد من أبيه قبل العوالم كلها . !

ليس بمصنوع . إله حق ! من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم كلها . وهوخالق كل شيء . !

الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا . نزل من السماء . وتجسد فى الروح القدس وصار إنسانا . !

وحملت به مريم . وولد فى مريم « البتول » .

فأوجع وأولم ، وصلب فى أيام بيلاطس الملك .

ودفن وقام فى اليوم الثالث من بين الموتى .

ثم صعد إلى السماء .

وجلس على يمين أبيه .

وهو مستعد للمجيء مرة أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات .

ونؤمن بالروح الذى يخرج من الأب والإبن . وبه يتكلم الأنبياء .

وبالتغطيس . الذى هو غفران الذنوب .

وبالحياة الأبدية أبد الأبدين .. »[٦٣]..

---

(٦٣) اعتمدنا فى ترجمة هذا النص على كتاب " تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب " للقس الأسبانى (تورميدا) وقد ألف هذا الكتاب بعد أن أسـلم ..

قــلت للأب جيمس :

أعتقد أن هذا قانون الإيمان فى كل كنيسة ، فلا يختلف الأرثوذكس أو الكاثوليك أو البروتستانت حول هذا القانون سوى فى بعض أمور طفيفة لا تتعلق بجوهر قانون هذه العقيدة ..

أليس كذلك أيها الأب جيمس .. ؟

* بلى .. كل الكنائس متفقة حول جوهر هذا القانون كما قلت ..

وعدت إلى سؤال الأب :

ولهذا افترضت الكنيسة - أى كنيسة أن اقتناع الناس بهذه العقيدة من الأمور الصعبة إن لم تكن مستحيلة . فقدمت إلى أتباعها - صورة من الأسئلة التى يمكن أن يواجهوا بها ، وكذلك صورة من الأجوبة التى يردون بها على من يناقشهم فيها ؟

الأب جيمس : كل الكنائس تفعل ذلك تقريبا ..

وليأذن لى الأخ القارىء والأخت القارئة أن أقطع الحوار مع الأب«جيمس » لأعرض عليهما نماذج هذه الأسئلة ، وهذه الأجوبة كما روتها الأخت المسلمة (مريم جميلة) :

س : هل هناك إله واحد ؟

ج : نعم هناك إله واحد .

س : كم شخصا « إقنوما » يوجد فى هذا الإله ؟

ج : يوجد فى هذا الإله ثلاثة أشخاص مقدسة هى : الأب والإبن . وروح القدس .

ولا يستطيع العقل البشرى أن يعرف الثالوث المبارك لأنه سر غيـــبى .. ! وحتى لوكشف الإله عن هذا السر فإننا لا نستطيع أبدا فهمه ..!

س : هل الأب إلـــه ؟

ج : إن الأب هوالإله والشخص الأول من الثالوث المبارك ، والشخص الأول يدعى الأب لأنه منذ الأزل يلد . الشخص الثانى أى إبنه الوحيد . والإله الأب يدعى بالشخص الأول . ليس لأنه أكبر أو أكثر عمرا من الشخصين الآخرين . وإنما لأنه لم يولـد .. !!

س : وهل الإبن إلـــه ؟

ج : إن الإبن هو الإله والشخص الثانى من الثالوث المبارك ، ويدعى بالإبن لأنه منذ الأزل هو الإبن الوحيد المولود من الأب !!

س : وهل الروح القدس إلـــه ؟

ج : إن الروح القدس هو الإله ، وهو الشخص الثالث من الثالوث المقدس ، وإنما سمى بالشخص الثالث أو الروح القدس لأنه منذ الأزل قد إنطلق من نفس الأب والإبن(٦٤) وهو منبثق منهما ، ويدعى بمنحه الحب من الأب والإبن ..

---

(٦٤) الأرثوذكس يرفضون هذا التفسير بالنسبة للروح القدس فهم يعتقدون أن الروح القدس إنبثق من الأب فقط دون الإبن .

س : وما الذى نعنيه بالثالوث المبارك ؟

ج : نعنى به الإله الواحد فى ثلاثة أشخاص إلهيين يتميزون عن بعضهم البعض . !!

س : وهل الأشخاص الثلاثة متساوون مع بعضهم البعض ؟

ج : إن الأشخاص الثلاثة متساوون مع بعضهم البعض لأنهم نفس الإله لا يسبق أحدهم الآخر فى الزمن أوالقدرة، وإنما هم جميعا أزليون وقادرون لأن لهم نفس القدرة الإلهية.. !!!

س : هل يمكننا أن نفهم أن الثلاثة أشخاص إلهيين بالكامل بالرغم من أنهم متمايزون ومختلفون فى العمل والوظيفة ؟

ج : لا نستطيع فهم هذه الحقيقة . !! فهي سر غيبي . !!

هل فهمت أيها القارىء ، وأيتها القارئة شيئا ؟ !!

قلت للأب جيمس :

لوأتينا بكل علماء الرياضيات ، وبعث « اينشتاين » مرة ثانية إلى الحياة ، وعقدنا له امتحانا فى حل هذه الطلاسم والألغاز ، لما حصل هذا العلامة إلا على صفر فى هذا الإمتحان ..

ولكن من حسن حظ « أينشتاين » أنه لم يكن مسيحيا ..!!

وإلا ما سمع أحد بنظرية « النسبية » التى تفوق بها على علماء «الرياضيات » فى هذه الدنيا ..!!

وهنا قال الأب جيمس :

إن مفهوم البساطة ليس له مجال فى فهم العقيدة المسيحية ، كما لا يجب أن توزن به هذه العقيدة .. !!

كما أن التصور الحسابى لوجود ثلاثة أشخاص فى إله واحد مع ما يثير ذلك من تعقيدات يجب أن يستبعد هو الآخر .. ؟ !!

فالمسيحية دين قام على المعجزات والخوارق كما قلت . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح دليلا على نبوته إلا ما جاء به من المعجزات . ولا يخفى أن المعجزات أمر خارق للعادة فى نظر العقلاء . ويجب الإيمان به دون إعتماد على النتائج والمقدمات ..

يقول القديس « إنسـلم » :

يجب أن نعتقد أولا بما يعرض عليك دون نظر . ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت[٦٥] ..!!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدى رأيا يخالف صريح ما فى الكتاب (أى الإنجيل) وعندما أعلن العالم الباحث « بلاج » بأن الموت كان موجودا قبل آدم قامت ضوضاء وارتفعت صيحات وانتهى الضجيج والصراخ بعد أن صدر أمر إمبراطورى بقتل كل شخص يعتقد ذلك الإعتقاد[٦٦] ..!!!

وعندما قال « دى رومنيس » :

---

(٦٥) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - الإمام محمد عبده - صفحة ٢٥ وما بعدها ..

(٦٦) المصدر السابق ..

إن قوس قزح ليست قوسا حربيا بيد الله ينتقم بها من عباده إذا أراد بل هى من إنعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء، فجلب إلى روما وحبس حتى مات، ثم حوكمت جثته، وكتبه فحكم عليها، وألقيت فى النار، وقيل فى علة الحكم: إنه أراد الصلح بين كنيستى روما وإنكلترا، وأى ذنب أعظم من هذا الصلح؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بأن قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء..

وقد أنشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة[٦٧]، وعندما خيف ظهورهما، بسعى تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته، خصوصا فى جنوب فرنسا وايطاليا، أنشئت هذه المحكمة الغريبة بطلب الراهب « توركماندا »..

قامت المحكمة بأعمالها حق القيام ففى مدة ١٨ سنة - من سنة ١٤٨١م إلى سنة ١٤٩٩م - حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا، وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا، وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة فنفذت..

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة »؟

وسيلة واحدة، هى أن يحبس المتهم وتجرى عليه أنواع العذاب المختلفة، بآلات التعذيب المتنوعة، إلى أن يعترف بما نسب اليه، وعند ذلك يصدر الحكم، ويعقبه التنفيذ.

---

(٦٧) أى لو كان البابا بنديكت موجودا لأحرقوه. لأنه درس الفلسفة..!!!

« قرر مجمع « لاتران » سنة ١٥٠٢ م أن يلعن كل من ينظر فى فلسفة ابن رشد ، وطفق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن من ينظر فى كلامه شيئا من الصناعة والعبادة ، لكن ذلك لم يمنع الأمراء وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول إلى شيء من كتبه ، وتحلية العقول ببعض أفكاره ..

اشتدت محكمة التفتيش فى طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة إلى كسبه ، ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها مهما اشتد خفاؤها : فى المدن ، فى البيوت ، فى السراديب ، فى الأنفاق ، فى المخازن ، فى المطابخ ، فى المغارات ، فى الغابات ، وفى الحقول ، فوفت بما كلفت مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين ، عملا بالقول الجليل ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » ..

كان يؤخذ الرهبان فى صوامعهم ، والقسوس فى كنائسهم ، والأشراف فى قصورهم - والتجار بين بضائعهم ، والصناع فى مصانعهم ، والعامة فى بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وأينما ثقفوا ، ويوقفون أمام المحكمة ، وتصدر الأحكام عليهم يوم إتهامهم .

وقد أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب فى قلوب أهل أوربا ما خيل لكل من يلمع فى ذهنه شيء من نور الفكر ، إذا نظر حوله أوالتفت وراءه أن رسول الشؤم يتبعه ، وأن السلاسل والأغلال أسبق إلى عنقه ويديه ، من ورود الفكرة العلمية اليه ، وقال « با غليا ديس » ما كان يقوله جميع الناس لذلك العهد « يقرب من المحال أن يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه » ..

حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١م إلى سنة ١٨٠٨م على ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة منهم نحو مائتى ألف أحرقوا بالنار أحياء .. !!!

كانت الطامة الكبرى .. يوم وقفت الكنيسة بما تبنته من آراء (علمية) خاطئة ، وخرافات وأساطير شائعة ، واعتبرته جزءا من الدين والعقيدة . يوم وقفت بهذه الجهالة فى وجه المنهج العلمى التجريبى الذى تسرب من الجامعات الإسلامية إلى أوروبا ..

ففى مجال العلم :

وقفت الكنيسة حائلا ضد أى اكتشاف علمى ، أونظرية علمية لا تتفق مع مقررات الكنيسة وتعاليمها الموروثة على مدى قرون ، كما حدث بالنسبة لنظرية (دوران الأرض حول الشمس) التى كشف عنها (كوبيرنيكوس) « ١٤٧٣ م -١٥٤٣ م» ..

وكانت مناقضة تماما لنظرية (بطليموس) التى كانت تقضى بثبات الأرض ومركزيتها بالنسبة للشمس ، والتى ظلت مسيطرة على عقل الكنيسة والمسيحيين لمدة خمسة عشر قرنا تقريبا ..

وعندما توصل (كوبيرنيكوس) إلى نظريته تردد فى نشر بحثه مدة طويلة .. يقول (كوبير نيكوس) فى كتابه إلى البابا بولس الثالث : «إننى ترددت لمدة طويلة .. هل أنشر ما كتبته للبرهنة على حركة الأرض أوأحذو حذو أتباع (فيثاغورث) الذين دأبوا على الافضاء بأسرارهم الفلسفية لأقاربهم وأصدقائهم شفويا .. وعندما تأملت فى

هذا كثيرا كدت أضع هذا العمل جانبا بسبب الإزدراء الذى يحق لى أن أتوقعه لكون نظريتى جديدة وعلى نقيض ما يقبله العقل ..؟)[٦٨]

وقد عارض النظرية كل العامة ، وطلبة الجامعة ، ورجال الكنيسة . بل عارضها الثائرون على الكنيسة البابوية من رجال الدين أنفسهم ..

يقول (مارتن لوثر) عن « كوبير نيكوس » :

(... يريد ذلك الأحمق أن يقلب علوم الفلك كلها رأسا على عقب .. ولكن كما يقرر الكتاب المقدس أن الشمس نفسها وليس الأرض هى التى أمرها يوشع بأن تقف ..) .

وأكد (جون كلفن) من كبار قادة الإصلاح الدينى :

(أن الأرض ثابتة .. مستشهدا بالمزمور ٩٣. « وكذلك ثبتت المسكونة لا تتزعزع » وسأل باحتقار (من ذلك الذى يجرؤ على وضع سلطة (كوبير نيكوس) فوق سلطان الروح المقدس ؟ !!!).. وقررت الكنيسة الكاثوليكية : أن الإقتراح القائل بأن الشمس هى المركز وأنها لا تدور حول الأرض حماقة وسخف وزيف فى علم اللاهوت .

ويروى التاريخ قصصا كثيرة عن آلاف العلماء الذين عوقبوا فى أوروبا وأحرقوا أحياء بسبب هذه النظرية وغيرها من النظريات العلمية .

ويصف (ليكى) فى كتابه (تاريخ الأخلاق فى أوروبا) :

---

(٦٨) (كتب غيرت العالم) لروبرت . ب . داونز - ترجمة أمين سلامه - طبعة ١٩٧٧م - ص ٢٢٣- وكتاب (خرافة العلمانية) - د/ يحيى هاشم .

أن التبذل والإسفاف قد بلغا غايتهما فى أخلاق الناس واجتماعهم .وكانت الدعارة ، والفجور ، والإخلاد إلى الترف ، والتساقط على الشهوات والتملق فى مجالس الملوك ، وأندية الأغنياء والأمراء ، والمسابقة فى زخارف اللباس والحلى والزينة .. فى حدتها وشدتها ..

كانت الدنيا فى ذلك الحين تتأرجح بين الرهبانية القصوى ، والفجور والوهم اللذان هما عدوان لشرف الإنسان وكرامته ....

وقد ضعف رأى الجمهور حتى أصبح الناس لا يحتفلون بسوء الأحدوثة والفضيحة بين الناس ، وكان الضمير الإنسانى ربما يخاف الدين ووعيده ... ولكنه أمن وأطمأن لاعتقاده أن الأدعية وغيرها تكفر عن جميع أعمال الإنسان ...

لقد نفقت[٦٩] سوق المكر والخديعة والكذب حتى فاق هذا العصر فى ذلك عصر القياصرة .. لكن الظلم والإعتداء والقسوة والخلاعة كانت تؤدى إلى إنحطاط فى حرية الفكر والحماسة القومية) ..

وفى مجال آخر : كانت كلمة « العلم » فى هذا العهد تعنى الهرطقة والكفر والحرمان من الخلاص .

وكان الإعتقاد شائعا فى أوروبا بأنه لا يوجد عمران فى الجانب المقابل من الأرض ..

---

(٦٩) نفقت – أى راجت وانتشرت ..

إذ كيف يعتقد إنسان أن قدمه تعلو رأسه ؟ !! وكيف توجد أشجار جذورها فى السماء وفروعها فى الأرض ؟ !!

لهذا حاربوا فى بداية الأمر .. رحلة (فاسكوداجاما) ورحلة (ماجلان) لأن ما يقولانه مخالف لنصوص الكتاب المقدس ..

وعندما اخترعت المطبعة صدرت قرارات بمنع نشر أى كتاب أومطبوعة قبل أن تأخذ إذنا من المجمع المقدس ..

هذا هو تاريخكم الأسود مع الفكر والعلم يا سيد بنديكت وهذا هو موقف الكنيسة الدموى من المفكرين والعلماء والفكر ..

أما الإسلام فإن معجزته الكبرى معجزة علمية وهى القرآن وأول كلمة بدأ بها القرآن هى إقــرأ :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾(٧٠)

يأمر الله بالقراءة . والقراءة طريق العلم والمعرفة . ثم يرشد إلى الاستعانة عليها بإسم (الرب) مفيض التربية ووسائلها على جميع الخلق . فيستشعر الإنسان بعزة شأنها وأنها من الأمور العظمى ، ثم يذكر خلقه وتكوينه . ويردفه بنعمة العلم :

(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

---

(٧٠) سورة العلق : الآيات ١:٥

ويكون بذلك قد سوى بين نعمة الخلق والإيجاد ونعمة العلم .. فيكون إيحاء بأن المخلوق الجاهل لا إعتداد بوجوده فى هذه الدنيا !!

إن الناس فى نظر الإسلام أحد رجلين :

إما جاهل يطلب العلم . وإما عالم يطلب المزيد ..

يقول النبى ﷺ :

« العالم والمتعلم شريكان فى الخير .. ولا خير فى سائر الناس»..

وفى الحديث أيضا :

« من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وأن العلما ء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ، ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم .. فمن أخذه أخذ بحظ وافر » ..

فإذا أمعنا النظر فى صفحات القرآن الكريم راعنا هذا الحوار القائم بين الله سبحانه وبين الملائكة عن قصة (آدم) واستخلافه عن الله فى الأرض :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا ءادَمَ ﴿٣٠﴾

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].

حينئذ... سجد الملائكة لآدم تكريما .. تكريما وتعظيما للعلم الذى تميز به آدم على الملائكة المقربين وحملة العرش ..

أليس فى هذه المفاضلة بين آدم والملائكة إشعار بأن الأساس الذى تميز به آدم على الملائكة إنما هو العلم ..؟

ولكن أى علم هذا الذى يدعو اليه الإسلام ؟ أهو العلم بالدين والشرائع أم العلم بمعناه الكبير الواسع ؟

ونقول جوابا عن ذلك :

إن العلم فى الإسلام يتناول كل موجود فى هذا الكون . وكل ما لا يوجد فمن الواجب أن يعلم . أنه علم أعم من العلم الذى ياد لأداء الفرائض والشرائع[٧١] إذا كان من أهم عبادات الله أن يهتدى الإنسان إلى سر الله فى خلقه وأن يعرف حقائق الكون فى نفسه وفى هذا يقول رسول الله ﷺ :

« فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » ..

وذكر أمام النبى رجلان عابد وعالم فقال :

(٧١) التفكير فريضة إسلامية – عباس العقاد – ص ١٧.

« فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » ..

إن القرآن يدعو المسلم أولا إلى دراسة الدين وفقهه :

﴿ ۞وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾(٧٢).

ويدعوه إلى دراسة النفس والكون :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾(٧٣)

ويدعوه إلى دراسة التاريخ وأحوال الأمم السابقة :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾(٧٤)

ويدعوه إلى دراسة الزراعة وعلوم النبات :

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾(٧٥)

ويدعوه إلى دراسة الفلك وعلوم الفضاء :

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

(٧٢) سورة التوبة : الآية رقم ١٣٢

(٧٣) سورة فصلت : الآية رقم ٦٣

(٧٤) سورة غافر : الآية رقم ٢١

(٧٥) سورة عبس : الآية ٢٤-٣٢

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ... ﴾(٧٦).

ويدعوه إلى دراسة « التكنولوجيا » وعلوم طبقات الأرض وعلم الأجناس وإختلاف طبقات الناس :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ ﴾(٧٧).

يقول العالم الهندى (عناية الله المشرقى) :

« فى مدينة (كمبردج) وعندما كنت طالبا فى جامعتها الشهيرة فى أوائل القرن الماضى - طبعا - :

فى يوم أحد .. كنت أسير فى شارع « ريجنت » فالتقيت فجأة بأكبر عالم فلكى ظهر فى بريطانيا فى هذا الوقت وهوالسير « تشارلز جينز » كان يحمل مظلة فى يده .. وكانت الدنيا تمطر بينما ترك المظلة فى يده ولم يفتحها .. !!

قلت له : إن السماء تمطر فلماذا لا تفتح المظلة ..؟

فابتسم .. ثم فتحها .

---

(٧٦) سورة أل عمران : الايات ١٩٠ - ١٩١

(٧٧) سورة فاطر : الايات ٢٧-٢٨

وعدت أسأله ثانية : إلى أين أنت ذاهب ؟

فقال لى : إلى الكنيسة .

قلت له : هل يعقل أن يكون هناك عالم كبير مثلك . ومفكر وفيلسوف . لايزال يعتقد فى أساطير الكنيسة وخرافاتها .؟

فابتسم فى وجهى للمرة الثانية ثم قال : نلتقى فى البيت مساء لنناقش هذه القضية ..

ذهبت اليه فى الساعة السادسة مساء . فأذن لى بالدخول ..

جلس أمام المدفئة يدخن غليونه ، ثم قال :

- لقد سألتنى صباح اليوم عن سبب ذهابى إلى الكنيسة . وأقول لك :
- أننى لا أذهب إلى الكنيسة حبا فيها ولا فى طقوسها .
- ولكنى لأكون على صلة ولو بسيطة بالخالق الأعظم ..
- إن معبدى الحقيقى هو هذا الكون الذى أعيش فيه وأراه ..!! فى السماء المرصعة بالنجوم .. فى الشمس وبهائها .. فى القمر ونوره الذى يضفى على الإنسان راحلة البال والقلب فى المجرات التى تسير فى مداراتها منذ ملايين السنين فى نظام بديع يحار فى فهمه العقل ودون أن تصطدم بعضها ببعض . فى الزهرة البسيطة التى تخرج من بين الطين والوحل فى أبهى وأجمل صورة يتخيلها فنان أورسام من مشاهير الفنانين فى هذا العصر ..فى هذه القطة السمراء التى تداعبنى فى مودة وحب .. فى هذا الطائرالغريب الذى يغرد بصوته الجميل كلما طلع الفجر .. فى . وفى .. ثم ارتعشـت يده وبكى .

- وقال : ما أعظم الخالق العظيم الذى خلق هذا الكون .. ثم سكت ولم يعد يتكلم .
- بعد دقيقة قلت له هل تسمح لى أن أقرأ عليك بعض آيات من القرآن الكريم كتابنا المقدس ..
- قال : اقــرأ
- قلت : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

يقول « عناية الله المشرقى » :

ما كدت أفرغ من قراءة هذه الآية حتى رأيت « السير جينز» ينهض واقفا وهويقول :

هل هذا فى القرآن .. أ محمد قال هذا فعلا .. إن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر إنه وحى من عند الله فعلا وأن محمدا لرسول الله حقا .. !!! »

وتعالوا ننظر فى كتب الأمم السابقة والمقدسة عند الآخرين ، فنادرا ما تجد كلمة « علم » أو« فكر » أو« برهان » أو« نظر » بينما تجد كلمة (علم) ذكرت فى القرآن ثمانين مرة ، أما مشتقات هذه الكلمة (علم – يعلم – عليم – علام) فذكرت مئات المرات وكلمة (

الألباب) أى العقول تكررت ست عشرة مرة ، أما كلمة (عقل) فقد تكررت فى القرآن تسعا وأربعين مرة ..

وكلمة (فكر) تكررت ثمانى عشرة مرة ، وكلمة (فقه) تكررت احدى وعشرين مرة ، وكلمة (حكمة) ومشتقاتها تكررت عشرين مرة .

لقد كانت القاعدة الكبرى عند أهل الأديان السابقة هى (الجهل) ومن كلماتهم المأثورة (إن الجهل هو أبوالإيمان) أو (آمن أولا ثم فكر بعد ذلك) ..

إن (القرآن الكريم) هو كتاب العقيدة « المقروء » والكون وما فيه من سموات ومجرات ، والأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال هوكتاب العقيدة « المنظور » ..!!

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ... ﴾[٧٨].

وقد فهم المسلمون الأوائل هذه الحقيقة فوجدوها فى التفكير والبحث ، وتركوا تراثا لايزال أثره باقيا حتى اليوم .

---

(٧٨) سورة آل عمران : الآيات ١٩٠-١٩١

وحتى منتصف القرن الثامن عشر كانت كتب « الفارابى » و« ابن سينا » و« ابن رشد » و« الحسن ابن الهيثم » تدرس فى جامعات أوروبا كما يقول(جوستاف لويـون) فى كتابه « حضارة العرب » .

واذا كانت أوروبا تفخر بما وصلت اليه من علم ، وبما وصل اليه العلماء والباحثون من تقدم مذهل فى الفضاء والكون ، فهم مدينون لنا أولا وأخيرا بهذا التقدم ، فالمسلمون وحدهم هم الذين شقوا الطريق ومهدوه لهذا العلم وهم دون غيرهم الذين خرجوا بالإنسانية من نفق الضلالة والجهل ..

ففى الوقت الذى كان فيه علماؤنا يتحدثون فى حلقاتهم العلمية ومؤلفاتهم عن دوران الأرض وكرويتها وحركات الأفلاك والاجرام السماوية كانت عقول الاوروبيين تمتلىء بالخرافات والأوهام عن هذه الحقائق كلها .. ومحاكمة القطط والكلاب والفئران ..

فمن أطرف المحاكمات وأشهرها، محاكمة الفئران فى بلدة «اوتون » بفرنسا فى القرن الخامس عشر ، فقد اتهمت الفئران فى هذه القرية بالتجمهر فى الشوارع بشكل مزعج مقلق للراحة ، وقد تقدم للدفاع عنها (شاسانيه) المحامى الفرنسى وطلب التأجيل لأن الفئران لم تتمكن مـن الحضور ، حيث فيها الرضيع والمريض والعجوز ، وهى تستطيع أن تسـتعد للمثول بين يدى المحكمة اذا منحت فرصة التأجيل ، فوافقت المحكمة على التأجيل لوقت معين ، ولما حان الوقت لم تحضر الفئران ، فقال محامى الدفاع للمحكمة : إن الفئران تذعن لأوامركم الموقرة ، وتود الحضور ، ولكنها يا حضرات القضاة تخشى وقوع الأذى عليها من القطط إن هى جاءت إلى هنا . فرد

رئيس المحكمة قائلا : إن من واجبنا تأمين المتهمين على حياتهم ، فطلب المحامى أن تأمر المحكمة بحبس قطط البلد كلها قبل مرور موكب الفئران فى الشوارع لتكون مطمئنة على حياتهم ، فوافقت المحكمة على هذا الطلب لعدالته ، وأصدرت أمرا بمنع القطط والكلاب من المرور فى الشوارع تأمينا للفئران أثناء حضورها إلى قاعة المحكمة . ولكن أهل القرية رفضوا تنفيذ ذلك فاضطرت المحكمة إلى أن تحكم ببراءة الفئران لأنها حرمت وسائل الدفاع المشروعة !!!

وقد نال المحامى بسبب هذه القضية شهرة ذائعة ، ولا ندرى إن كان قد أخذ أتعابه من الفئران أم لا ، وربما كانت أتعابه أن تتعهد لـه الفئران بعدم قرض كتبه وأوراقه[٧٩] .. !!!

يقول عضوالاكاديمية الفرنسية (كلود فارير) KLOD (FARER::)

فى عام ٧٣٢م ألمت بالإنسانية كارثة قد تكون أكبر الكوارث .

هذه الكارثة التى أكره حتى ذكرها هى الإنتصار المقيت الذى أحرزه قرب « بواتيه » متوحشوا الهاركاس بقيادة « شارل مارتل » على القائد المسلم « عبدالرحمن الغافقى » ..

لقد تقهقرت المدينة فى هذا اليوم المشئوم ثمانمائة عام لقد كان يكفى أن يشاهد الإنسان حدائق الأندلس وأن يشاهد « قرطبة ،

(٧٩) من روائع حضارتنا – المرحوم الدكتور مصطفى السباعى .

وغرناطة ، وأشبيلية » ليعرف مدى التقدم والحضارة عند المسلمين والعرب .

كانت أوروبا تعيش فى همجية وبربرية وحروب أهلية وأمية فى حين كان العالم الإسلامى من الوادى الكبير إلى « الأندوس » ينمووينتصر إنما أريد أن أسأل الفرنسيين عما اذا كانوا يوافقوننى على أن هذا الإنكسار أى هزيمة المسلمين فى موقعة « بواتيه » كان هزيمة للإنسانية جمعاء ومصيبة كبرى أخرت مدنيتها ثلاثة قرون .

وكما تعرف إلى أى مدى كان إشعاع الحضارة الإسلامية فى بلاد الأندلس يغرى ملوك أوروبا بالاقتباس من هذه الحضارة والتعلم منها نقـــرأ عليكم هذه الرسالة .

هذه الرسالة التى أرسلها ملك انجلترا إلى الخليفة هشام الثالث فى بلاد الأندلس ..

تقول هذه الرسالة بالنص وبالحرف :

« من جورج الثانى ملك انجلترا وللغال « فرنسا » والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام : بعد التعظيم والتوقير :

فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد التعليم والصناعات فى بلادكم العامرة .

فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى إقتناء أثر منه لنشر انوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة .. !!!

وقد وضعنا إبنة شقيقتنا الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها من بنات أشراف الإنجليز موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة ...... الخ » ..

من خادمكم المطيع

جورج الثانـــى

يقرر الأستاذ (بريفولت) فى كتابه « بناء الإنسانية » :

إن « روجر بيكون » درس العلم العربى دراسة عميقة وأنه لا ينسب له ولا لسميه الآخر « فرنسيس بيكون » أى فضل فى إكتشاف المنهج التجريبى فى أوروبا، ولم يكن « روجر بيكون » فى الحقيقة إلا واحدا من رسل العلم والمنهج الإسلامى فى أوروبا النصرانية ولم يكف « روجر بيكون » عن القول بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحقة لمعاصريه ..

ثم يذكر أنه ليست هناك وجهة نظر من وجهات العلم الأوروبى لم يكن للثقافة الإسلامية تأثير أساسى عليها، ولكن أهم أثر للثقافة الإسلامية فى العلم الأوروبى هو تأثيرها فى (العلم الطبيعى) و(الروح العلمى) وهما القوتان المميزتان للعلم الحديث، والمصدران الساميان لإزدهاره ..

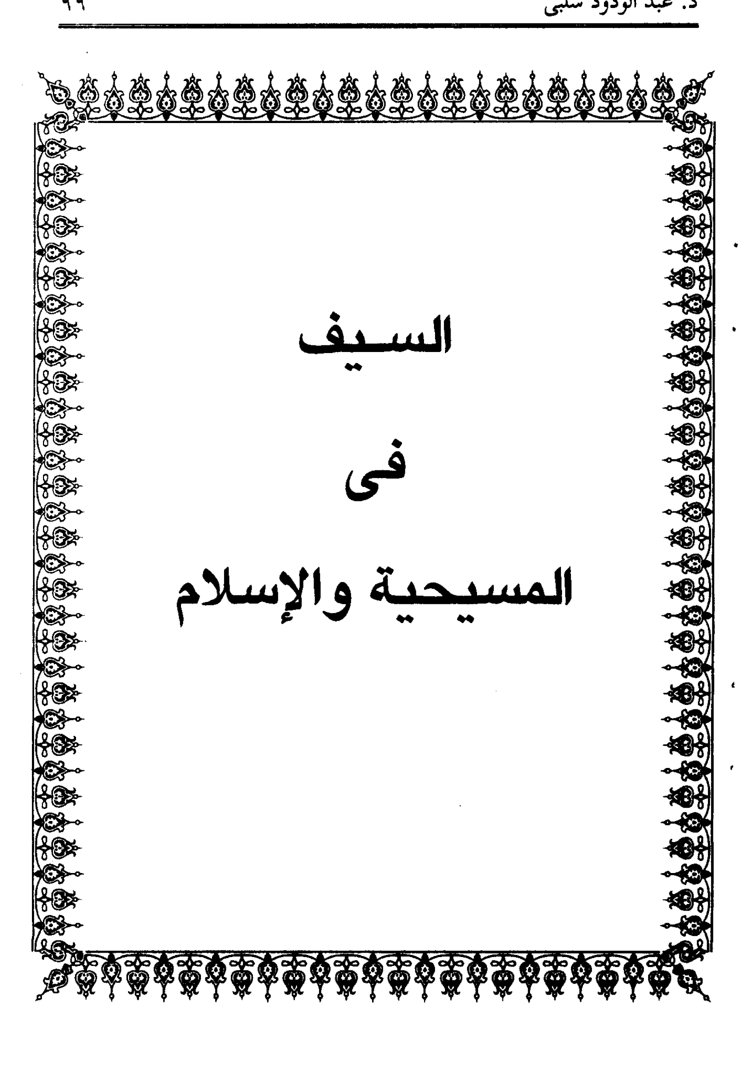
ويقرر (بريفولت) فى حسم وإصرار :

« إن ما يدين به عملنا لعلم العرب ليس هو ما قدموه لنا من إكتشافهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة ، إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا ، إنه يدين لها بوجوده » ..

« إن ما ندعوه بالعلم ظهر فى أوروبا نتيجة لروح جديدة فى البحث ، ولطرق جديدة فى الاستقصاء طرق التجربة والملاحظة والقياس ، ولتطوير الرياضيات فى صورة لم يعرفها اليونان ، وهذه الروح ، وتلك المناهج إنما أدخلها العرب إلى العالم الأوروبى » ..

وكما يقول « لوبون » لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت الحضارة الغربية خمسة قرون .. !!!





السيف في المسيحية والإسلام

يقول «توماس كارليل»[٨٠] فى كتابه عن («البطل» فى صورة نبى): لقد كانت (نية) هذا النبى العظيم أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد بذل فى سبيل ذلك كل جهد جهيد، ولكنه وجد أن الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته ودعوته وعدم الإصغاء اليه، بل عمدوا إلى إسكاته بشتى الطرق من تهديد ووعيد واضطهاد حتى لا ينشر دعوته. وهذا ما دفعه إلى الدفاع عن نفسه والدفاع عن دعوته وكأن لسان حاله يقول : أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلتنظروا إذن أى قوم نحن..

لقد أصاب هذا الرسول فى رأيه، فإن هؤلاء القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق والصدق وأبوا إلا التمادى فى الباطل، فاستباحوا الحرمات ونهبوا الممتلكات، وقتلوا الأنفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق..

واستطرد (توماس كارليل) يرد على القائلين بأن هذا النبى نشر دينه بحد السيف فيقول :

أرى أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال... ألم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف، وحسبكم ما فعله (شارلمان) بقبائل السكسون ٠,.. وأنا لا أحفل أكان إنتشار الحق بالسيف أم باللسان، أم بأية طريقة أخرى، فلندع الحقائق تنشر

(٨٠) نقلا عن ميثاق هيئة الأمم المتحدة ..

سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ... لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظفارها فإنها لن تهزم أبدا .. ولن يهزم منها إلا ما يستحق أن يهزم .. ولا يفنى منها إلا ما يستحق الفناء ..

فحبوب القمح عندما نأخذها إلى باطن الأرض، وكثيرا ما تكون مخلوطة بقشور وتبن وقمامة وتراب، فإذا ألقيتها وهى مختلطة بكل هذه الشوائب فى جوف الأرض العادلة البارة، فإنها لا تعطيك إلا قمحا خالصا نقيا، أما الشوائب والقذى فإنها تبتلعه فى سكون وتدفنه فى بطنها دون أن تذكر عنه شيئا ... وما هى إلا فترة حتى نرى القمح ناميا يهتز كأنه سبائك الذهب ..

هكذا الطبيعة فى جميع شئونها فهى حق لا باطل، ولا تشترط فى الشىء إلا أن يكون صادقا حرا ... فإذا كان كذلك حمته وحرسته وصانته وقوته وإذا كان غير ذلك تنكرت له وتركته بلا حماية ولا صيانة لهذا نرى لكل شىء تحميه الطبيعة روحا من الحق والصدق، أليس شأن حبوب القمح هذه شأن كل حقيقة كبرى جاءت إلى هذا الوجود أو ستجىء إلى هذا الوجود !!! ..

إن المادة الأولى من ميثاق هيئة الأمم المتحدة تنص[٨١] على ضرورة :

---

(٨١) كتاب الأبطال – توماس كارليل – ترجمة محمد السباعى .

(حفظ السلام والأمن الدوليين وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التى تهدد السلم ولإزالتها وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم) ..

وقد جاء فى مقدمة ميثاق الهيئة تأكيد إيمان الشعوب الموقعة على هذا الميثاق : بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

كما جاء فى المادة الثالثة والأربعين من ميثاق هيئة الأمم ما يلى بالنص : (يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ما يلزم من القوات المسلحة لحفظ السلم والأمن الدوليين وتشكل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها إسداء المشورة والنصح المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية ، ولإستخدام القوات الموضوعة تحت تصرفه – المادة ٤٧ – .

كما يتضافر أعضاء الأمم المتحدة على تقديم المعونة المتبادلة لتنفيذ التدابير التى قررها مجلس الأمن – مادة ٤٩ –)..

لو أردنا تبسيط هذه المواد فى عبارات موجزة فسنرى أنه من اختصاص هيئة الأمم التدخل بالقوة للقضاء على مظاهر الظلم والعدوان والتفرقة فى أى مكان من الدنيا ..كما أنه يبيح لهيئة الأمم التدخل للقضاء على الأنظمة التى تعتمد فى حكمها على القمع والقهر لشعوبها ؟!

أليس هذا هو ما فعلته الأمم المتحدة وتذرعت به فى حرب فيتنام وكوريا ؟

وأليس هذا هو ما فعلته الأمم المتحدة فى العراق ؟

أليس هذا ما قمتم به وفعلتموه فى هاييتى وبنما ، وجرانادا ؟

أليس هذا ما فعلته قوات الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ...!!

إننى لا أزال أذكر هذا اليوم الذى أطلق عليه اسم (أطول يوم فى التارخ) (THE LONGIST DAY IN HISTORY) وهو يوم نزول قوات الحلفاء إلى أرض فرنسا فى منطقة (نورماندى) وقد شاهدت عمليات هذا الإنزال فى (فيلم) أطلق عليه اسم هذا اليوم نفسه ، كما شاهدت فى بريطانيا أيضا هذا المسلسل الذى أطلق عليه اسم (العالم فى حرب) (WORLD AT WAR)..

إن الشىء الذى لفت نظرى فى الفيلم الأول ، وفى هذا المسلسل هواستقبال الشعوب لهذه القوات .. كان الرجال والنساء والأطفال يلقون الزهور على الدبابات وعربات جر المدافع الثقيلة .. كما كانت الفتيات يصعدن إلى ظهور الدبابات ليعانقن جنودها فى فرح ونشوه .. لقد ذهبت إلى غير رجعة طغمة الشر وانحسرت موجة الطغيان والظلم..!!

وهذا هو (الجهاد) الحقيقى الذى يريده الإسلام ، جهاد ضد الطغاة الذين يعتبرون الشعوب قطيعا من الغنم ..!!

وجهاد ضد (البغاة) الذين لا يعترفون لإنسان بأى حق .

وجهاد ضد (الظلم) الذى لم يترك إنسانا واحدا آمنا فوق هذه الأرض .

وجهاد ضد (الفساد) الذى فشـا وانتشر حتى فى دور (العـــبادة) و(بيت الرب) ..!!

وجهاد ضد (الإذلال) الذى جعل الحياة جحيما يصطلى الناس بناره دون سبب واحد يبرر هذا الإذلال أو هذا القهر ..

(**جهاد**) يحرم قتل الطفل ..

(**جهاد**) يحرم قتل الضعيف أو الشيخ ..

(**جهاد**) يحرم قتل المرأة ويحترم دور العبادة .

(**جهاد**) يحرم قطع شجرة ! و(جهاد) يحرم التمثيل بالقتلى ويأمر برعاية الجرحى والرفق بالأسرى ..

بل (**جهاد**) يحرم قتل شاة أو بقرة إلا فى حالة الضرورة القصوى . وللحفاظ على حياة الجياع من الجرحى أو الأسرى ..!!

(**جهاد**) يستهدف السلام والعدل .. وإقامة دولة الإخاء والمساواة فوق هذه الأرض .. !!!

هذا هو (**الجهاد**) أو الحرب المقدسة - كما قلت - فماذا عن (الجهاد) أو (الحرب) فى كتابكم المقدس .. وماذا تقول هذه الكتب التى يؤمن بها كل يهودى أو مسيحى مخلص .. ؟

(... حين تقترب من مدينة كى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها فكل الشعب المولود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك - هذا اذا سلمت المدينة ولم تحارب.. ؟ !!

وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها .. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك .. فأضرب جميع ذكورها بحد السيف .. !!!

وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك .. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا ..

وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة .. فضربا تضرب بحد السيف .. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار ، فتكون تلا إلى الأبد ولا تبنى بعدى ..!!

إن العهد القديم يوصى بحرب الإبادة ، الإبادة التى لا تبقى فى ديار الأعداء إنسانا ولا حيوانا ..

إنهم يسفكون هذا الدماء ، لا على أنها جرائم ، بل على أنها قربات يطلبون بها رضوان الرب .. ؟ !!

فى الإصحاح السادس من سفر يشوع :

(وكان فى المرة السابعة ، عندما ضرب الكهنة بالأبواق ، أن يشوع قال للشعب :

اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة[٨٢] ، فتكون المدينة وكل ما فيها محرابا للرب ...

وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما ، فسقط السور فى مكانه ، وصعد الشعب إلى المدينة ، كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة ، وحرموا[٨٣] كل ما فى المدينة من

(٨٢) أريحا .   (٨٣) قتلوا .

رجل ، وامراة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها) .. !!!

وفى الإصحاح الثامن :

(فقال الرب ليشوع : مد المزراق الذى بيدك نحو (عاى) لأنى بيدك أدفعه ..

فمد يشوع المزارق الذى بيده نحو المدينة ..

فقام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا عندما مد يده ، ودخلوا وأخذوها وأسرعوا و أحرقوا المدينة بالنار .. !!

ولما رأى يشوع وجميع إسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة ، وأن دخان المدينة قد صعد ، أنثـــنوا وضربوا رجال عاى ..

وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم فكانوا فى وسط اسرائيل ، هؤلاء من هنا وأولئك من هناك ، وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت ..!!

وأما ملك (عاى) فأمسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع ..

وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان (عاى) فى الحقل ، فى البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميع بحد السيف حتى فنوا ، أن جميع إسرائيل رجع إلى (عاى) وضربوها بحد السيف ..

فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا جميع أهل (عاى) ...

وفى الإصحاح العاشر :

(ثم اجتاز يشوع ، وكل اسرائيل معه ، من (لخيشا) إلى (عجلونا) فنزلوا عليها وحاربوا ، واخذوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها فى ذلك اليوم ...) .

(فضرب يشوع كل أرض الجبل ، والجنوب والسهل ، والسفوح وكل ملوكها ، لم يبق شاردا بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل).

وفى الإصحاح الحادى عشر :

(.. ثم رجع يشوع فى ذلك الوقت . وأخذ « حاصور » وضرب ملكها بالسيف ، لأن (حاصور) كانت قبلا رأس جميع تلك الممالك وضربوا كل نفس بها بحد السيف ، حرموهم ،(٨٤) ولم تبق نسمة ، وأحرق (حاصور) بالنار .. !!

فأخذ (يشوع) كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربوهم بحد السيف حرمهم كما امر موسى عبد الرب ..

لم تكن مدينة صالحت بنى اسرائيل إلا (الحويين) سكان (جميعون) بل أخذوا الجميع بالحرب ، لأنه كان قبل الحرب أن يشدد قلوبهم ، حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة ، فيحرموا ، فلا تكون عليهم رأفة ، بل يبادروا كما أمر موسى الرب ..)..

إن هذه التعاليم الإلهية فى نظر اليهود والنصارى هى اساس الصلات بين المسيحيين وخصومهم .. هى التدمير للذى يسقط جثة

(٨٤) أى قتلوهم ..

الأب ، إلى جوار ولده ، إلى جوار امرأته ... ثم يهدم البيت فوق الجميع .

هذه هى المبادىء ، والأسس التى يصدر عنها رجال لا يستحيون من إتهام الإسلام بأنه انتشر بالسيف(٨٥) .. ؟؟

ألم يقل المسيح عليه السلام بالنص :

(لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض .. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ... فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها .. وأعداء الإنسان أهل بيته .. من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى.. ومن أحب إبنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى..من لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى.. ومن وجد حياته يضيعها ..ومن أضاع حياته من أجلى يجدها .. من يقبلكم يقبلنى يقبل الذى أرسلنى) .. (متى ١: ٣٤-٤٠)..

ثم قال لهم أى (المسيح) :

(حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ، ولا أحذية هل أعوزكم شىء ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشترى سيفا .

لأنى أقول لكم إنه ينبغى أن يتم فى أيضا هذا المكتوب وأحصى مع أثمه لأن ما هو من جهتى له إنقضاء فقالوا يا رب هوذا هنا سيفان ، فقال لهم يكفى .. (لوقا ٢٢ : ٣٥-٣٨) ..

---

(٨٥) التعصب والتسامح للاستاذ الشيخ محمد الغزالى ..

(لأنى أقول لكم)[٨٦] .. إن كل من له يعطى ..

ومن ليس له .. فالذى عنده يؤخذ منه :

أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى ..) .. (لوقا الإصحاح الحادى عشر)..

وإذا كان السلام على الأرض هو أغلى ما يحرص عليه إنسان فإن السلام فى الآخرة أيضا له مقام وأى مقام ... فالجنة سماها القرآن (دار السلام) وتحية الله لأهل الجنة « سلام » وكذلك الملائكة تستقبل الفائزين بدخول هذه الجنة « بالسلام » ..

إن السلام فى الإسلام ضرورة لإستمرار الحياة فوق هذه الأرض وضرورة لإستقرار القيم والمثل فى ضمير كل فرد ... سلام لا تفرضه القوة بل سلام ينبع من داخل النفس ...النفس المؤمنة التى تؤثر غيرها فى مواطن الشدة واليأس ...

هل يعنى ذلك أن الإسلام ضد الحرب ؟ واذا كان الجواب نعم . فلماذا حارب النبى محمد ؟ وأن الجهاد أو الحرب المقدسة عقيدة راسخة فى قلب كل مسلم ومسلمة ؟

(٨٦) لقد ورد هذا النص على لسان المسيح عليه السلام فى مجال ضرب الأمثال للذين لا يلتزمون قواعد الايمان والأخلاق . وضرب المثل لا يكون إلا فى حال الاستشهاد بالمعنى الوارد فى هذا المثل..

نعم. الإسلام ضد الحرب... ولكن حين تفرض عليك هذه الحرب فلا مناص من هذه الحرب. ولا مفر من القضاء على قوى الطغيان والشر..

ولنستمع معا إلى ما يقوله القرآن الكريم فى هذا الشأن :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾(٨٧)

إن الفطرة السوية عند أى إنسان تكره إراقة الدماء... ولكن الأسوياء من لدن آدم إلى اليوم قلة... ألم يقتل قابيل أخاه من أجل امرأة؟ ومتى ؟

حين كان عدد أفراد البشرية فى مهدها الأول لا يزيد عن عدد أفراد أسرة واحدة ؟

فالخير والشر وجدا مع أول إنسان عرفته هذه الأرض وما بقى الخير والشر فسيبقى الصراع بينهما إلى آخر العمر..

هل تعرفون لماذا أسلم المفكر العالمى الفرنسى (روجيه جارودى)؟..

تعالوا نستمع اليه وهو يروى قصته .. :

(٨٧) سورة البقرة : الآية رقم ٢١٦ .

قضيت فى السجن ثلاث سنوات، حيث اعتقلت فى سبتمبر (ايلول)١٩٤٠م بواسطة مارشال « بيتان » وحكومة « فيشى ». وبقيت رهن الإعتقال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فى معسكر بمنطقة جلفا بالصحراء الجزائرية، وهناك وقع حادث عجيب فعلا، فقد تزعمت تمردا فى معسكر الإعتقال، وأجرى الكوماندور الفرنسى قائد المعسكر محاكمة سريعة، وأصدر حكما بإعدامى رميا بالرصاص، وأصدر اوامره بتنفيذ ذلك إلى الجنود الجزائريين المسلمين، وكانت المفاجأة عندما رفض هؤلاء تنفيذ إطلاق النار، ولم أفهم السبب لأول وهلة لأننى لا أعرف اللغة العربية، وبعد ذلك علمت من « مساعد » جزائرى بالجيش الفرنسى كان يعمل فى المعسكر أن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسان أعزل .. وكانت أول مرة أتعرف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث الهام فى حياتى، وقد علمنى أكثر من دراسة عشر سنوات فى السوربون .

هل سمعتم بجيش منتصر يخرج من البلد الذى فتحه ؟ وبأمر من ؟ بأمر الخليفة القائد الأعلى لهذا الجيش .. ولماذا ؟

اليكم هذه القصة التى تروى أغرب حادثة فى تاريخ الدنيا ..

لما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز، وفد اليه قوم من أهل « سمرقند »، فرفعوا اليه أن « قتيبه » قائد الجيش الإسلامى فيها دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين غدرا بغير حق فكتب عمر إلى عامله هناك

أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلمين من « سمرقند » أخرجوا ..!!

فنصب لهم الوالى (جمع بن حاضر الباجى) قاضيا ينظر شكواهم ، فحكم القاضى وهو مسلم ، بإخراج المسلمين ... على أن ينذرهم قائد الجيش الإسلامى بعد ذلك ، وينابذهم وفقا لمبادىء الحرب الإسلامية ، حتى يكون أهل « سمرقند » على استعداد لقتال المسلمين فلا يؤخذوا بغتـة ..

فلما رأى ذلك أهل « سمرقند » ، رأوا ما لا مثيل له فى التاريخ من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها .. قالوا . هذه أمة لا تحارب ، وإنما حكمها رحمة ونعمة ، فرضوا ببقاء الجيش الاسلامى ، واقروا أن يقيم المسلمون بين أظهرهم . أرأيتم . جيش يفتح مدينة ويدخلها ، فيشتكى المغلوبون للدولة المنتصرة ، فيحكم قضاؤها على الجيش الظافر ويامر بإخراجه ، ولا يدخلها بعد ذلك إلا أن يرضى أهلها ...؟

أرأيتم فى التاريخ القديم والحديث حربا يتقيد أصحابها بمبادىء الأخلاق والحق كما تقيد به جيش المسلمين ؟ إنى لا أعلم فى الدنيا كلها مثل هذا الموقف لأمة من أمم الأرض ..



بل أن راهبا مسيحيا ألف كتابا سماه (المصيبة الإسلامية) ..

أما سبب تسمية هذا الكتاب بهذا الإسم فيقول عنه الراهب :

إن المسلمين لم يحاولوا إكراه أحد على إعتناق دينهم فى جميع البلاد التى فتحوها مما جعل الناس يذهبون اليهم ليتعرفوا على دينهم فكانت النتيجة أنه ما من إنسان ذهب اليهم ليتعرف على دينهم حتى رجع مسلما !!! ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ...﴾(٨٨)

يقول ربنا عز وجل :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ...﴾(٨٩)

يقول المفسرون فى سبب نزول هذه الآية :

كانت المرأة تكون مقلاة - قليلة النسل - فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده (كان يفعل ذلك نساء يثرب فى الجاهلية) فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار من تهود فقال آباؤهم :

لا تدع أبنائنا (يعنون : لا ندعهم يعتنقون اليهودية) .

فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ...)..

فرغم أن محاولات الإكراه كانت من آباء يريدون حماية أبنائهم من التبعية لأعدائهم المحاربين الذين يخالفونهم فى دينهم وقوميتهم ورغم الظروف الخاصة التى دخل بها الأبناء دين اليهودية وهم صغار ، ورغم ما كان يسود العالم كله حينذاك من موجات التعصب والاضطهاد للمخالفين فى المذاهب ، فضلا عن الدين ، كما كان فى مذهب

(٨٨) سورة الروم : الآية ٣.

(٨٩) سورة البقرة : الآية رقم ٢٥٦

الدولة الرومانية التى خيرت رعاياها بين التنصر أو القتل، فلما تبنت المذهب « الملكانى » أقامت المذابح لكل من لا يدين به من المسيحيين من اليعاقبة وغيرهم ..

يقول المؤرخون لتاريخ المسيحية[٩٠] :

« منذ اللحظة الأولى لظفر الكنيسة بسلطة مدنية - فى عهد قسطنطين - دخل مبدأ الكبح العام، واستمر عشرة قرون شداد رسف فيها العقل والقلب فى الأغلال، وعانى من قسوته اليهود والوثنيون كثيرا ».

وقد حاول قسطنطين أن يضع حدا لشرورهم، فأصدر قانونا يقضى بإحراق كل يهودى يلقى على من اعتنق المسيحية حجرا وعقاب كل مسيحى تهود... ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك، فإن تزوج يهودى بمسيحية أعدم »، قال : وقد أبان (تسطريوس) بطريق القسطنطينية عن مبدئه فى الاضطهاد حين قال للإمبراطور: أعطنى الدنيا وقد تطهرت من الملحدين، أمنحك نعيم الجنة المقيم .. !!

ثم شرعت عقوبة الإعدام للملحدين ونظم إفناؤهم ..

ووضع (تيودسيوس) فى أواخر القرن الرابع قوانين صارمة تتضمن ستا وستين مادة لمقاومة الهرطقة، وإلى جانبها بنود أخرى لاستئصال الوثنية، ومناهضة الأديان غير اليهودية، والارتداد عن الدين ومزاولة السحر، ونحو ذلك ..

---

(٩٠) الدكتور توفيق الطويل .

وكان هذا الدستور يقضى بإقصاء الوثنيين عن وظائف الدولة، وتحريم طقوسهم وحظر عباداتهم، وهدم معابدهم، وتحطيم صورهم»

وفى أوائل القرن الخامس ظهر القديس (أوغسطين) وهو رجل عنيف المشاعر بالغ القسوة .

كانت حياته سوط عذاب على مخالفى المسيحية، ورافضى الدخول فيها وقد أمد حركة الاضطهاد بالوقود الذى زادها ضراما، ورسم للأحلاف مثلا سيئة للحماح والتوحش ..

« وتمشيا مع هذا سلم (أوغسطين) بمعاقبة الملحد بالنفى والجلد وفرض الغرامات، ووضع الكنيسة دستورا تلتزمه إزاء كل حركة إلحادية...» .

ومن رأى (أوغسطين) - الذى استمده من عقيدة الخلاص، ومن نصوص، العهد القديم - أن عقاب الملحدين هو من دلالات الرفق بهم وشواهد الرحمة، اذا كان هذا العقاب ينقذهم من العذاب الأبدى الذى ينتظر المرتدين عن المسيحية .....) !!

« إن الهرطقة فى الكتاب المقدس، وكأنها نوع من الفسق والمروق وعبادة الأوثان، إنها أسوأ أنواع القتل، لأنها قتل للأرواح، من أجل ذلك إقتضت العدالة أن ينال أهلها ما يستحقون من عقاب، وإذا كان العهد الجديد قد خلا من رسول استخدام القوة والعنف فى نشر الدين، فقد كان هذا لأن عصرهم قد خلا من وجود أمير يعتنق المسيحية » ..

هكذا يقول (أوغسطين) يعنى أن المسيحية لم تستعمل القوة من عهد عيسى ، لأنها لم تتح لها ، ولم تتيسر وسائلها ، ولو أتيحت لها / ما تورعت عن قهر الأمم بها .

ويقول القديس الجبار مستدلا على آرائه هذه من حوادث العهد القديم ألم يذبح (اليشع) بيد أنبياء (بعــل) ؟

ألم يحطم (حزقيال) و(يوشع) ملك (بختنصر) بعد إرتداده ؟

إن أتباع الاضطهاد من أمثال القديس « أوغسطين » قد استندوا إلى آيات وردت فى الإنجيل . كقول المسيح لحواريه :

« لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما ، بل سيفا ، فإنى جئت لأفرق الإنسان من أبيه ، والابنة من أمها ، والكنة من حماتها ، وأعداء الإنسان من أهل بيته » .

هذه الكلمات هى التى حكمت تاريخ النصرانية ، وصبغته - من بدايته حتى هذا اليوم - ..

أما « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » فكلام لم يعرفه المسيحيون مع أنفسهم يوما ولا مع أعدائهم ساعة ...

وأسألك يا سيد بنــــدكــت ..

* من الذى أمر بشن حروب صليبية دامت أكثر من قرنين من الزمان وراح ضحيتها الملايين ..؟
* من الذى أباد أكثر من ثمانين مليونا من قبيلة « المايا والهنود الحمر » فى الأمريكتين ؟

إنهـم أنتـم أيها الكاثوليك ..

* ومن الذى أباد سكان « استراليا » الأصليين ؟
* هل هم المسلمون ؟
* من الذى ذبح المسلمين فى « أسبانيا » ؟

إنهـم أنتـم أيها الكاثوليك ..

* من الذى ذبح البروتستانت فى شوارع باريس ؟ ..
* وما الذى فعله الأسبان والبرتغاليون ضد المسلمين فى سواحل آسيا وأفريقيا ؟..
* وما الذى فعلته فرنسا بالمسلمين فى شمال أفريقيا ؟

والذى فعلته إيطاليا فى ليبيا ؟

إنهـم أنتـم يا سيد بنديكت .. !!

* من الذى شن حربا عالمية تكررت مرتين وراح ضحيتها أكثر من ثمانين مليونا من البشر ..؟
* هل هم أنتم أم المسلمون .. ؟
* لقد قتل فى الإتحاد السوفيتى أكثر من ستين مليونا .. ؟
* وفى الصين الشيوعية ستة وثلاثون مليونا .. ؟
* وفى ألمانيا النازية واحد وعشرون مليونا .. ؟
* وفى اليابان ستة ملايين .. ؟
* وفى فيتنام ثلاث ملايين .. ؟

ذبحهم الغــرب لأسباب إستعمارية بحته لا صلة لها بالخلق ولا بالديــن .. !!

لقد قال السيد المسيح اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلم ترضوا بغير ما كان لله ولقيصر ، وأصبحتم فى واقع الأمر والحقيقة امبراطورية دينيــة تتحكم فى رقاب مئات الملايين من البشر .!!

يقول المؤرخ والفيلسوف البريطانى (بريفولت)[٩١] :

« إن تقدير المؤرخين للناس الذين قتلتهم المسيحية فى انتشارها فى أوروبا – يتراوح بين سبعة ملايين كحد أدنى ، وخمسة عشر مليونا كحد أعلى .

إن فظاعة هذا العدد تتضح لنا عندما نذكر أن عدد سكان أوروبا آنذاك كان جزءا ضئيلا فقط من سكانها اليوم .

كانت الفظائع والمذابح التى قام بها المسيحيون ضد خصومهم تجد لها سندا فى التوراة التى تقول فى شان هؤلاء الخصيم : إهدموا معابدهم وأقذفوا أعمدتهم إلى النار ، واحرقوا جميع صورها ..

كما توصى التوراة بتحريق المدن بعد فتحها ، وقتل كل من فيها من رجال ونساء واطفال .

---

(٩١) من كتاب بناة الإنسانية BRIFFAULT. THE MAKFING OF HUMANTY.

وكان الذين يقومون بتلك العمليات الوحشية يزعمون لأنفسهم أنهم يتقربون إلى الله وينفذون ارادته ، ويعجلون لأعدائه بعض النقمة التى تنتظرهم فى الآخرة .

كانت الكنيسة الكاثوليكية بقيادة الفاتيكان هى المسئول الأول عن ارتكاب هذه المذابح وإعلان هذه الحرب وبخاصة ضد المسلمين واليهود والبروتستانت .

ومن العجب أن البروتستانت حين قويت شوكتهم فعلوا الشىء نفسه مع الكاثوليك ولم يكونوا أقل وحشية منهم » ..[٩٢]

لقد قال « لوثر » (LUTHER) لأتباعـه :

من استطاع منكم فليقتل... فليخنق... فليذبح ... سرا أو علانية ..!!! اقتلوا واذبحوا ما طاب لكم ... هؤلاء الفلاحين الثائرين .. !!!

ويقول (توماس أرنولد)[٩٣] : إن« شارلمان» هو الذى فرض المسيحية على« السكسون» بحد السيف..

والملك (كنوت) (KNUT) هو الذى أباد غير المسيحيين فى الدانمارك ..

وجماعة (إخوان السيف) هى التى فرضت المسيحية فى بروسيا « أى ألمانيا » .

---

(٩٢) نديم البيطار - الأيديولوجية الإنقلابية ص ١١٠ .

(٩٣) انظر فى هذا الموضوع كتاب (الدعوة إلى الإسلام) تأليف : توماس أرنولد - الطبعة العربية - ص ٣٠-٣٢

والملك (أولاف) ذبح كل من رفض اعتناق المسيحية فى النرويج، قطع أيديهم وأرجلهم ونفاهم وشردهم حتى انفردت المسيحية بالبلاد ..

وفى روسيا فرض (فلاديمير)(VLADIMER) بالقوة عام ٩٨٨م المسيحية على الروس، سادة وعبيدا، وأغنياء وفقراء غداة إعتناقه لها ..

وفى الجبل الأسود - البلقان - قاد الأسقف الحاكم (دانيال بيتر وفيتش) عملية ذبح غير المسيحيين - بمن فيهم من المسلمين - ليلة عيد الميلاد عام ١٧٠٣م ..[٩٤] !!

وفى المجر أرغم الملك « شارل روبرت » غير المسيحيين على التنصر أو النفى عام ١٣٤٠م ..!!

وفى أسبانيا - قبل الفتح العربى - كان المجمع السادس فى (طليطلة) قد حرم كل المذاهب غير المذهب الكاثوليكى .. وأقسم الملوك على تنفيذ هذا القانون بالقوة ..!!

وقتل جستنيان الأول (٥٥٧ - ٥٦٥م) مائتى ألف من القبط حتى اضطر من نجا من القتل إلى الهرب فى الصحراء[٩٥] .. ؟ !!

وفى أنطاكية حدث نفس القهر والاضطهاد لغير المسيحيين، ولمعتنقى غير مذهب الدولة الرومانية من المسيحيين .. !!

---

(٩٤) وهذا ما حدث الآن فى البوســنه .

(٩٥) الدعوة إلى الإسلام - توماس أرنولد - صفحة ١٧.

لقد سجل المؤرخ والفيلسوف الأمريكى (ول ديورانت)عدد سنوات الحرب التى خاضتها البشرية فوق هذه الأرض فوجدها ٣٤٢١ ثلاثة آلاف وأربعمائة وواحد وعشرين عاما ، بينما لم تزد سنوات السلام والهدنة عن ٢٦٨ مائتين وثمانية وستين عاما ... !!

أرأيتم إلى أى مدى بلغت قوة الشر ؟

إنها لكارثة أن تمضى الحياة على هذا النحو.. وأسوأ من هذه الكارثة أن يتهم المسلمون بسفك الدماء والقتل .. بينما هم ضحايا هذا السفك وهذا القتل .. !!

لقد تخيل الكاتب الروسى (ديستوفسكى) فى إحدى رواياته أن المسيح عليه السلام وقد عاد إلى الأرض .. فوعظ الناس، وصنع المعجزات وأقبل عليه الضعاف والمرضى يطلبون منه الرحمة والعون .. وفجأة يظهر رئيس (ديوان التفتيش) أو - البابا - بلغة هذا العصر فيشير إلى الحراس والجند أن يقبضوا عليه ويضعوه فى السجن .. !!

وفى المساء يذهب اليه المفتش الأعظم فى السجن ويقول له :

إنى أعرفك ولا أجهلك.. ولهذا سجنتك.. قل لى :

لماذا جئت إلى هنا ..؟ !!!

لماذا تلقى العثرات والعقبات فى طريقنا .. ؟ !!!

ثم يقول له : إنك كلفت الناس ما ليس لهم به طاقة .. كلفتهم بأشياء لم يستطيعوا القيام بها ...

ولكن عرفناهم ، وأعفيناهم من كل ما أمرتهم به .. ثم تجىء بعد ذلك لتفسد علينا .. !!!

إن الحرية حمل ثقيل يصعب على الإنسان حمله .. لهذا سلبناها منه وأرحناه منها .. فلماذا تحاول أن تردها اليه .. ؟ !!!

لقد منحتنا السلطان قديما .. وليس لك أن تسترده ، أو تحرمنا منه اليوم .. !!! فاترك لنا هذا الإنسان فنحن أعرف به منك .. !!!

وارجع من حيث أتيت وإلا سلطنا عليك هذا الإنسان ، وسترى أن الشعب الذى قبل قدميك يأتى الينا غدا ليطالبنا بالتخلص منك .. !!!

يقول الاستاذ عزت السعدنى فى مقاله الإسبوعى بصحيفة الأهرام تحت عنوان (سيف محمـــد) :

* أرسل إلى الصديق الدكتور معتز حسونه البروفيسور فى جامعة لندن يقول : لقد وصلتنى هذه الرسالة التى كتبها كاتب يهودى اسمه (أورى افنيرى) وهو يرد فيها على البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان على تطاوله على الإسلام ..

عنوان المقال (سيف محمد) وخلاصته تعبيره عن الإمتنان للمسلمين الذين حافظوا على اليهودية واليهود طوال ١٤ قرنا ، بل وحموها من عسف المسيحيين وظلمهم ومجازرهم ، معتبرا الذين فرضوا دينهم بالسيف هم المسيحيون .

يقول « أورى افنيرى » :

* فى خطابه الذى ألقاه فى جامعة المانية اراد البابا المائتان الخامس والستين أن يثبت أن هناك فرقا جوهريا بين المسيحية والاسلام ، بينما ترتكز المسيحية على المنطق ، فإن الإسلام ينكره ، بينما يرى

المسيحيون منطقا فى أعمال الله ، ينكر المسلمون أى منطق فى أعمال الله .

يدعى البابا أن النبى محمد قد أمر أتباعه بنشر دينه بقوة السيف ، وهذا أمر غير منطقى ، على حد تعبير البابا ، لأن الروح هى مصدر الإيمان وليس الجسد ، وكيف يمكن للسيف أن يؤثر على الروح ؟

فى أواخر القرن الرابع عشر روى القيصر « عيما نوئيل الثانى » عن نقاش أجراه ، على حد زعمه ، (هذا الأمر مشكوك فيه) مع مثقف فارسى مسلم مجهول ، وفى خضم النقاش قال القيصر بخشونه (على حد قوله) أمام شريكه فى الحديث :

أرنى شيئا جديدا أتى به النبى محمد ، وترى أشياء سيئة وغير إنسانية فقط مثل أمر نشر دينه بقوة السيف .

تثير هذه الأقوال ثلاثة أسئلة :

(أ) لماذا قالها القيصر ؟

(ب) هل هى صحيحة ؟

(ج) لماذا كررها البابا الحالى ؟

هل هناك حقيقة فى إدعاء القيصر « عيما نوئيل » ؟

لقد شكك البابا ذاته بأقواله ، كلاهوتى حقيقى له سمعته ، لا يمكنه أن يسمح لنفسه بتزييف ما هو مكتوب ، لذلك ذكر أن النبى محمد قد منع فى القرآن بشكل واضح نشر الدين بقوة السيف . لقد اقتبس عن سورة البقرة الآية ٢٥٦ (صحيح أن البابا لا يخطأ ولكنه أخطأ هنا : لقد قصد الآية ٢٥٧. لقد جاء فيها (لا إكراه فى الدين) .

كيف يتجاهلون قولا بسيطا وقاطعا إلى هذا الحد ؟

يدعى البابا أن هذه الآية قد كتبت فى بداية طريق محمد، بينما كان مازال يفتقر إلى القوة، ولكن مع مرور الوقت أمر باستخدام السيف من أجل الدين، لا يوجد لمثل هذه الوصية أى ذكر فى القرآن .

صحيح أن النبى محمد قد دعا إلى استخدام السيف فى معاركه ضد خصومه من القبائل فى شبه الجزيرة العربية عندما أسس دولته، غير أن هذا كان عملا سياسيا وليس دينيا، معركة على الأرض وليس على بساط الدين.

يسوع المسيح قال : تعرفونهم من ثمارهم .

علينا أن ننظر إلى تعامل الإسلام مع الديانات الأخرى حسب اختبار بسيط كيف تصرفوا خلال أكثر من ألف سنة بينما كانت القوة بين أيديهم، ولكن باستطاعتهم نشر دينهم بقوة السيف، ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

لقد سيطر المسلمون على اليونان طيلة مئات السنين. هل اعتنق اليونانيون الإسلام ؟ هل حاول أى شخص إدخالهم فى الإسلام ؟

على العكس، لقد شغل اليونانيون وظائف كبيرة فى الحكم العثمانى، كما أن شعوب اوروبا المختلفة مثل البلغاريين، الصرب، الرومانيين، الهنجاريين، الذين عاشوا فترات طويلة تحت حكم الأتراك قد تشبثوا بدينهم المسيحى، إن أحدا لم يجبرهم على اعتناق الدين الإسلامى، وظلوا مسيحيين متدينين !

لقد أسلم الألبان وكذلك البوسنيون ، ولكن أحدا منهم لا يدعى بأنهم قد أكرهوا فى ذلك . لقد اعتنقوا الدين الاسلامى ليكونوا محببين إلى السلطة وليتمتعوا بخيراتها .

وفى عام ١٠٩٩م احتل الصليبيون القدس وذبحوا سكانها المسلمين واليهود دون تمييز ، وكانت هذه الأمور تنفذ بإسم يسوع طاهر النفس !

فى تلك الفترة وبعد ٤.. سنة من احتلال المسلمين للبلاد ، كان معظم سكان البلاد مازالوا من المسيحيين طيلة كل تلك الفترة لم تجر أى محاولة لفرض دين محمد على السكان ، بعد أن طرد الصليبيون من البلاد فقط بدأ معظمهم بتبنى اللغة العربية وإعتناق الدين الاسلامى، وكان معظم هؤلاء هم أجداد الفلسطينيين فى ايامنا هذه .

لم تعرف أى محاولة لفرض دين محمد على اليهود ، لقد تمتع يهود أسبانيا ، تحت حكم المسلمين ، بازدهار لم يسبق له مثيل فى حياة اليهود حتى أيامنا هذه تقريبا ، شعراء مثل يهودا هيلفى كانوا يكتبون باللغة العربية ، كذلك الحاخام « موشيه بن ميمون » (الرمام) . كان اليهود فى الأندلس المسلمة : وزراء ، شعراء ، علماء . لقد عمل فى طليطلة المسلمة مسلمون ، يهود ، ومسيحيون معا على ترجمة كتب الفلسفة والعلوم اليونانية القديمة . لقد كان ذلك عصرا ذهبيا بالفعل .

كيف كان لهذا أن يحدث كله ، لو كان النبى محمد قد أمر أتباعه بنشر الإيمان بقوة السيف ؟

ولكن المهم هو ما حدث لاحقا ، حين احتل الكاثوليكيون أسبانيا من أيدى المسلمين ، فقد بسطوا فيها حكما من الإرهاب الدينى ، لقد وقف اليهود والمسلمون أمام خيار قاسى : إعتناق المسيحية أو الموت أو الهرب ..!!!

وإلى أين هرب مئات آلاف اليهود الذين رفضوا تغيير دينهم ؟

لقد استقبل معظمهم على الرحب والسعة فى الدول الإسلامية ، لقد استوطنوا (يهود الأندلس) من المغرب فى الغرب وحتى العراق فى الشرق ، من بلغاريا (تحت حكم الأتراك آنذاك) فى الشمال وحتى السـودان فى الجـنوب ، لم تتم ملاحقتهم فى أى مكان ،

لم يواجهوا هناك أى شىء يضاهى تعذيب محاكم التفتيش ولهيب المحارق والمجازر والطرد الذى ساد فى معظم الدول المسيحية حتى حدوث الكارثة ..!!!

لماذا لأن محمد قد منع بشكل واضح ملاحقة أهل الكتاب ، لقد تم تخصيص مكانة خاصة فى المجتمع الإسلامى لليهود وللمسيحيين.

كل يهودى مستقيم يعرف تاريخ شعبه ، لا يمكنه إلا أن يشعر بالعرفان تجاه الإسلام ، الذى حمى اليهود طيلة خمسين جيلا ، فى الوقت الذى كان العالم المسيحى فيه يلاحقهم وحاول فى العديد من المرات إجبارهم على تغيير دينهم بالسيف ..!!!

لماذا صرح بابا الفاتيكان بهذه التصريحات علنا ؟

ولماذا الآن بالـذات ؟

لا مناص من النظر إلى الأمور على خلفية الحملة الصليبية الجديدة التى يخوضها « بوش » ومؤيدوه الإنجيليون ، وحديثه عن الفاشية الإسلامية ، والحرب العالمية ضد الإرهاب ، بينما يتم توجيه كلمة الإرهاب إلى المسلمين ..

إن هذا الأمر بالنسبة لمن يواجه « بوش » هو محاولة ساخرة لتبرير الإستيلاء على مصادر النفط .. !!

هذه ليست المرة الأولى التى تلبس فيها المصالح الإقتصادية الجرداء قناعا دينيا ، وهذه ليست المرة الأولى التى تتحول فيه حملة نهب إلى حملة صليبية .

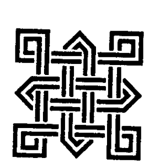
يندمج خطاب البابا بشكل جيد فى هذه المساعى ، ولا احد يعرف ما هى النتائج الممكنــه .. !!!

« توقيع : أورى افنيرى ».





التسامح الإسلامى والتعصب المسيحى



يقول المؤرخون للإمبراطورية الرومانية إن إعتناق الامبراطور « قسطنطين » للمسيحية لم يكن عن إيمان وإقتناع. بل لأنه رأى فى تعصب « المسيحية » عاملا مهما فى الحفاظ على وحدة الإمبراطورية ومنعها من الإنهيار ..

« كان القصد الأعلى للمسيحية كقصد كل أيديولوجية إنقلابية، إنشاء عالم مسيحى جديد ليس فيه سوى المسيحيين »(٩٦)

كان الإيمان المسيحى شرطا جوهريا كى يصبح الفرد عضوا فى مجتمع القرون الوسطي وكان ضروريا كى يصبح الفرد مواطنا أن يصير مسيحيا ..

لهذا بقى الوثنى او اليهودى أو المسلم خارج المجتمع، أى فى انتظار القتل عندما يأتى ... وعندما يقع. !!

وهذا المعنى يفسره « بولــس » قائلا :

« لا تكونوا تحت نيـر غير المؤمنين. لأنه أية خلطة للبر والإثم ... وأية شركة للنور مع الظلمة وأية إتفاق للمسيح مع بليعال ...وأي نصيب للمؤمنين مع غير المؤمنين...وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ... فإنكم أنتم هيكل الله الحى ..»

(كوزمثوس الثانية ٦ : ١٤ - ١٦)

(٩٦) نديم البيطار - (الأيديولوجية الإنقلابية - ص ١١.

« ... وقد ضرب الصليبيون خلال الحروب الصليبية كثيرا من الأمثلة للتعصب وأتوا من الفظائع والمذابح والكبائر ما تقشعر منه الأبدان ، وقد إعترف بذلك معظم الكتاب والمؤرخين الأوروبيين ، ومن هؤلاء المؤرخين (ميشو) فى كتابه « الحروب الصليبية » ، الذى ذكر أن الصليبيين حين فتحوا معرة النعمان قد قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين إلى الجوامع والمختبئين فى السراديب ، فأهلكوا صبرا أكثر من مائة الف إنسان ، وكانت المعرة من أعظم مدن الشام . وفتح الصليبيون القدس بعد أن أفحشوا القتل فى المسلمين ، حتى هلك منهم عشرات الألوف ، فيهم جماعة من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد . وارتكب الصليبيون كل محرم فى دينهم مع المسلمين واليهود » .

وقال المؤرخ (ميشو) أيضا :

« تعصب الصليبيون فى القدس أنواع التعصب الأعمى الذى لم يسبق له نظير ، حتى شكا من ذلك المنصفون من مؤرخيهم فكانوا يكرهون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعلى البروج والبيوت ، ويجعلونهم طعاما للنار ، ويخرجونهم من الأقبية ، وأعماق الأرض ويجرونهم فى الساحات ، ويقتلونهم من فوق جثث الآدميين ، ودام الذبح فى المسلمين اسبوعا ، حتى قتلوا منهم - على ما اتفق على روايته - مؤرخو الشرق والغرب سبعين ألف نسمة ، ولم ينج اليهود كالعرب من الذبح ، فوضع الصليبيون النار فى المذبح الذى لجأوا اليه ، وأهلكوهم كلهم بالنار ..».

وكان من عادة الصليبيين أن يقتلوا أهل كل بلد يدخلونه فى الشام ويخربوا عمرانه ويحرقوا كتبه ومتاعه وآثاره. فقد أحرقوا دار الحكمة فى طرابلس وكان فيها نحو مائة الف مجلد ..[٩٧]

واعترف المؤرخ (جوستاف لوبون)[٩٨] بفظائع الصليبيين فى القدس فقال :

أراد الصليبيون أن يستريحوا من عناء تسبيح أهل القدس قاطبة، فانهمكوا فى كل ما يستقذره الإنسان من ضروب السكر والعربدة، واغتاظ مؤرخو النصارى انفسهم من سلوك حماة النصرانية مع إتصاف هؤلاء المؤرخين بروح الإغضاء والتساهل، فنعتهم (برنارد الخازن) بالمجانين، وشبههم (بو دوان) الذى كان رئيس أساقفة (دول) بالفروس التى تتمرغ فى الأقدار .

وهناك وثيقة تاريخية تصف فظائع الصليبيين فى القدس، كتبها المؤرخ الراهب (روبرت) وفيها يقول :

« كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبوءات التى خطفت صغارها وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربا إربا، وكانوا لا يستبقون إنسانا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية

---

(٩٧) كرد على : الإسلام والحضارة العربية – ج ١ ص ٢٩٦ ..

(٩٨) نقلا عن كتاب (الإسلام وأهل الذمة) – دكتور على حسن الخربوطى – ص ١٩٦ وما بعدها..

السرعة ، فيا للعجب ويا للغرابة أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلحة بأمضى سلاح من غير أن تقاوم ، وكان قومنا يقبضون على كل شيء يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية ، فيا للشره وحب الذهب .. وكانت الدماء تسيل كالأنهار فى طريق المدينة المغطاة بالجثث ، فيا لتلك الشعوب العمى المعدة للقتل.. ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية دينا ، ثم أحضر (بوهيموند) جميع الذين اعتقلهم فى برج القصر ، وأمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعفائهم وبسوق فتيانهم وكهولهم إلى إنطاكية لكى يباعوا فيها »[٩٩] .

فماذا فعل المسلمون حين استردوا بيت المقدس على يد صلاح الدين ؟

كان فى القدس حينما استعادها صلاح الدين (٥٨٣ هـ) من الصليبيين مائة الف صليبى ، منهم ستون الف راجل وفارس ، سوى من اتبعهم من النساء والأطفال ، فأبقى صلاح الدين على حياتهم ، واستوصى بهم خيرا ، ونابذ فقهاءه فيما ارتأوه من معاملتهم بمثل ما عامل به أجداد الصليبيين جمهور المسلمين يوم فتحهم القدس ، واكتفى بأن ضرب فدية عادلة ، وعجز بعضهم عن دفع الفدية ، فأدى الملك العادل أخو صلاح الدين فدية عن ألف صليبى ، واقتدى به صلاح الدين نفسه فأعفى كثيرين من الفدية ، وأغضى عن جواهر الصليبيين وذهبهم وفضتهم ، وعامل نساء الإفرنج معاملة كريمة وسهل

(٩٩) من روائع حضارتنا - دكتور مصطفى السباعى ..

السبيل لخروج ملكتين بما معهما من جواهر وأموال وخدم ورخص للبطريرك الأكبر أن يسير آمنا بأموال البيع والجوامع التى كان غنمها الصليبيون فى فتوحهم. ولما قال المسلمون لصلاح الدين إن هذا البطريرك يقوى بما أخذ على حرب المسلمين ثانية، قال : لا أغدر به ..

ولما عقد الصلح بين المسلمين والصليبيين دخل خلق عظيم من الافرنج إلى القدس فأكرمهم صلاح الدين وقدم لهم الأطعمة وباسطهم. فألقى صلاح الدين على الصليبيين درسا فى مكارم الأخلاق وسماحة الإسلام.[١٠٠]

واعترف المؤرخ (جو ستاف لوبون)[١٠١] بتسامح صلاح الدين وعدله وعطفه، فقال : « وتم طرد الصليبيين من القدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى، ولم يشأ صلاح الدين أن يفعل فى الصليبيين مثل ما فعله الأولون من التوحش فيبيد النصارى على بكرة ابيهم، فقد اكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم مانعا سلب شىء منها ..» ..

وأشار المؤرخ (أيور كا) بما لقيه الصليبيون من حسن معاملة صلاح الدين لهم يوم فتحه القدس، فقال : لقد أظهر الجند المسلمون الذين رافقوا المطرودين من أهل الصليب شفقة مؤثرة، ولاسيما على النساء والأطفال. ولا يأتى إيراد البرهان على سمو أخلاق صلاح الدين

---

(١٠٠) كرد على (الإسلام والحضارة العربية - ج ١ - ص٢٩٨ ..

(١٠١) حضارة العرب - ص ٣٢٩

لأكثر مما عامل به الصليبيين، حتى لقد هدد أصحاب السفن من رعايا الجمهوريات الإيطالية ليركبوا هؤلاء البائسين من الصليبيين ..

علم صلاح الدين بمرض خصمه « ريتشارد قلب الأسد »، وبأنه فى حاجة إلى بعض الفاكهة والثلج، فبعث إليه صلاح الدين بحاجته، وأرفقها بالدواء والشراب، ولم يكد « ريتشارد » يشفى من مرضه حتى عاد مرة أخرى إلى قتال صلاح الدين وحربه ... !!!!

ومن عجب(١٠٢) أن قسوتهم ونكوسهم للعهود كانت فيما بينهم بعضهم مع بعض، لا تقل عما هى عليه فى موقفهم منا .. إنهم القساة الغلاظ الأكباد فى كل بلد يغلبونه شرقيا كان أو غربيا، وهم القساة الغلاظ الأكباد مع كل ضعيف يهزمونه مسلما كان أو نصرانيا. وها هم بأنفسهم يتحدثون عن قسوتهم .

كتب القس « أودو الدويلى » أحد رهبان القديس « دينيس » الذى كان يشغل وظيفة قسيس خاص للويس السابع وصحبه فى الحملة الصليبية الثانية عن بعض مشاهداته فقال :

« بينما كان الصليبيون يحاولون شق طريقهم برا عن طريق آسيا الصغرى إلى بيت المقدس، منـوا بهزيمة فادحة على أيدى الترك فى ممرات فريجيـا الجبلية عام ١١٤٨م، وبلغوا مدينة « أتاليا » الساحلية بشق الأنفس، وهنا تمكن جميع الذين استطاعوا أن يرضوا المطالب الفادحة التى كان يفرضها عليهم تجار الإغريق من الإبحار إلى

(١٠٢) من روائع حضارتنا – الدكتور مصطفى السباعى - ص ١٠٨ وما بعدها .

إنطاكية ، بينما خلفوا وراءهم المرضى والجرحى وعامة الحجاج تحت رحمة الخونه من حلفائهم الإغريق الذين أخذوا مبلغ خمسمائة مارك من لويس على شريطة أن يمدوا الحجيج بقوة من الحرس ، وأن يعنوا بالمرض حتى يصبحوا من القوة بحيث يمكن إرسالهم ليلحقوا بسائر زملائهم . ولكن لم يكد الجيش يغادر المكان حتى أخبر الإغريق الترك بموقف الحجيج الأعزل ، وراقبوا فى صمت ما أصاب هؤلاء التعساء من المجاعة والمرضى وسهام العدو التى جرت عليهم الدمار والخراب وهم فى طريقهم إلى معسكرهم ».

يقول المستشرق الأمريكى (لوثروب ستودارد)(LOTHR ROP STODDER) فى بحثه الذى نشره تحت عنوان (حاضر العالم الاسلامى) :

إن العالم المسيحى على إختلاف شعوبه تسوده روح صليبية وتعصب دينى عميق .

إن الدول المسيحية فى حقدها وعدائها للدول الإسلامية تلجأ إلى العدوان المسلح إبتغاء إذلال الدول الإسلامية .

كما تعمل على القضاء على كل حركة إصلاحية تستهدف النهوض بالعالم الإسلامى وتحريره من قبضة الغرب المسيحى المتعصب ..

ويقول (لوثروب ستودارد) :

إن العالم النصرانى على إختلاف أممه وشعوبه مناهض للشرق على العموم وللإسلام على الخصوص فجميع الدول المسيحية متحدة معا على دك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ..!!!

فالروح الصليبية لم تزل كامنة كمـون النار فى الرماد. فالمسيحية لم يزل التعصب مستقرا فى عناصرها. متغلغلا فى أحشائها. وهى دائما وأبدا ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد ..!!!

إن الإيمان كما يقول القرآن لا يفرض بالقوة، الإيمان أساسه إقرار القلب والإعتقاد فيما يؤمن به الإنسان أنه حق .. ولم يعرف عن المسلمين فى أوج سلطتهم وقوتهم أنهم أرغموا أحدا على إعتناق الإسلام من القبط ..

بل إن أحد الحكام المسلمين فى مصر رفض دخول الأقباط فى الإسلام حتى لا تنخفض الأموال التى كان يحصلها منهم كجزية ..

وحين سمع الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك كتب إليه مهددا بأن يترك الحرية للناس فيما يختارونه من عقيدة، لأن محمدا (ﷺ) أرسله الله إلى الناس للهداية لا لتحصيل الجباية والجزيه.

يقول المؤرخ الغربى (آدم متـز)[١٠٣] فى كتابه عن الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى :

(١٠٣) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع عشر الهجرى - لآدم متز - ترجمة الدكتورأبى ريده - ج ١ ص ٨٥- ٨٧

« ولما كان الشرع الإسلامى خاصا بالمسلمين فقد خلت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم والذى نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم والروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة ايضا ..

وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل - إلى جانب ذلك - مسائل الميراث - وأكثر المنازعات التى تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به ..».

« على أنه كان يجوز للذمى أن يلجأ إلى المحاكم الإسلامية ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر إلى ذلك بعين الرضا ..».

ولذلك ألف الجاثليق (تيمونيوس) حوالى عام (٢..هـ - ٨..م) كتابا فى الأحكام القضائية المسيحية « لكى يقطع كل عذر يتعلل به النصارى الذين يلجأون إلى المحاكم غير النصرانية بدعوى نقصان القوانين المسيحية ».

إلى أن يقول :

(وفى عام ١٢٠ هـ- ٧٣٨م) - ولى قضاء مصر خير بن نعيم - فكان يقضى فى المسجد بين المسلمين ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارض فيقضى بين النصارى ..

ثم خصص القضاء للنصارى يوما يحضرون فيه إلى منازل القضاة ليحكموا بينهم ، حتى جاء القاضى محمد بن مسروق الذى ولى قضاء مصر عام ١٧٧هـ فكان أول من أدخل النصارى فى المسجد ليحكم بينهم ..

ثم قال (متز) :

« أما فى الأندلس ، فعندنا أكثر من مصدر جدير بالثقة أن النصارى كانوا يفصلون فى خصوماتهم بأنفسهم ، وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضى إلا فى مسائل القتل » ..

وبهذا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يرونه فى دينهم واجبا ولا على فعل أمر يرونه عندهم حراما ، ولا على إعتناق أمر دينى لا يرون اعتقاده ، بمحض إختيارهم .

أما حرية رجال الدين فى طقوسهم وإبقاء سلطتهم على رعيتهم دون تدخل الدولة فى ذلك ، فقد شعر المسيحيون من سكان البلاد بالحرية فى ذلك بما لم يشعروا ببعضه فى حكم الروم ، ولعل أحدا منا لا ينسى موقف السلطان محمد الفاتح حين استولى على القسطنطينية مقر البطريركية الارثوذكسية فى الشرق كله ، فقد أعلن يومئذ تأمين سكانها - وكلهم نصارى - على أموالهم وأرواحهم وعقائدهم وكنائسهم وصلبانهم وأعفاهم من الجندية ..

يقول المستر (داربر) الأمريكى المشهور :

(إن المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن إليهم على مجرد الإحترام ، بل فوضوا اليهم كثيرا من الأعمال الجسام ورقوهم فى مناصب الدولة حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت أمر (ابن ماسويه) ، ولم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة ..

ويقول المؤرخ الشهيرالمعاصر(ولــز) فى صدد بحثه عن تعاليم الإسلام:

(إنها أسست فى العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم ، وإنها لتنفخ فى الناس روح الكرم والسماحة كما أنها إنسانية السمة ، ممكنة التنفيذ ، فقد أقامت مجتمعا إنسانيا لا تعصب فيه بسبب التفرقة فى الدين).

ويقول السير (مارك سايس) فى وصف الأمبراطورية الإسلامية فى عهد الرشيد :

(وكان المسيحيون والوثنيون واليهود والمسلمون على السواء يعملون فى خدمة الحكومة)..

ويقول(ليفى بروتستال) فى كتابه (أسبانيا الإسلامية فى القرن العاشر):

« إن كاتب الذمم كثيرا ما كان نصرانيا او يهوديا – أى من اليهود والنصارى – وقد كانوا يتصرفون للدولة فى الأعمال الإدارية والحربية ، ومن اليهود من كانوا ينوبون عن الخليفة بالسفارات إلى دول أوروبا الغربية»..

ويقول(رينو) فى تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط :

« إن المسلمين فى مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختـنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير » ..

يقول (جيروم وجان تارو) :

إن فضيلة التسامح التى كانت أزهى السمات الخلقية فى العرب ، والتى ندر أن تتوافر لغيرهم فى جميع الأزمان ، هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيرا ولم يكن ليفيدهم ذكاؤهم الفطرى وذوقهم الفنى ونزعاتهم : لولم يتميزوا بفضيلة التسامح ..

يقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسى (جوستاف لوبون) فى كتابه «حضارة العرب » متحدثا عن عدل الفاتحين المسلمين وسماحتهم :

(كان يمكن أن تعمى فتوح العرب الأولى أبصارهم ، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ، ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذى كانوا يرغبون فى نشره فى العالم .. ولكن العرب اجتنبوا ذلك فقد أدرك الخلفاء السابقون - الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الجديدة - إن النظم والديانات ليست مما يفرض قسرا فعاملوا - كما رأينا - أهل سورية ومصر واسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم ، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة فى الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعونه سابقا فى مقابل حفظ الأمن بينهم ، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ، ولا دينا سمحا مثل دينهم) ..

وينقل عن « جوتييــه » فى كتابه (أخلاق المسلمين وعاداتهم) :

« لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية فضيلة المسامحة التى لم تكن تتوقع من أناس يحملون دينا جديدا ، وما فكر العربى قط

فى أشد أدوار تحمسه لدينه الجديد أن يطفىء بالدماء دينا منافسا لدينه وقد جاءنا العالم (مــتز) فى باب التسامح الإسلامى بتفاصيل أشد غرابة من هذه قال :

إن أعظم بواعث الاستغراب كثرة عدد غير المسلمين من رجال الأسر فى الدول الإسلامية - وقد شوهد المسلم فى بلاده يحكم عليه النصارى ، وحدث ذلك مرتين فى القرن الثالث للهجرة أن كان من النصارى وزراء حرب ، وكان على القواد - حماة الدين - أن يقبلوا أيدى الوزير وينفذوا أوامره ، هذا والدواوين غاصة بالكتاب من النصارى » ..

ولم يكن التسامح مقصورا على عهد الراشدين أو المسلمين الأولين أو جنس العرب كما يظن ذلك بعض الناس ، بل بقى هذا التسامح صفة أصلية ملازمة للمجتمع المسلم ، وللحكم الإسلامى فى كل عصر وفى كل مكان ، أيا كان الحاكمون وكان المحكومون ، حتى فى أشد العصور اشتهارا بالعصبية الدينية ، بل كانت الدولة الإسلامية هى الملاذ الذى يلجا اليه المضطهدون من أى دين ، فيجدون فيها التسامح والأمان والإطمئنان ..

يقول (توماس أرنولد) فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام » :

« وحدث أن هرب اليهود الأسبانيون المضطهدون فى جموع هائلة ، فلم يلجأوا إلا إلى تركيا فى نهاية القرن الخامس عشر » .. !! ؟

ويقول ايضا :

« حتى ايطاليا كان فيها قوم يتطلعون بشوق عظيم إلى التركى لعلهم يحظون كما حظى رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح اللذين يئسوا من التمتع بهما فى ظل أى حكومة » ..!!!

ويقول (ريتشارد ستييز) من أبناء القرن السادس عشر :

« على الرغم من أن الأتراك بوجه عام شعب من أشرس الشعوب ..فقد سمحوا للمسيحيين جميعا للإغريق منهم واللاتين أن يعيشوا محافظين على دينهم وأن يصرفوا ضمائرهم كيف شاءوا بأن منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم المقدسة فى القسطنطينية وفى أماكن أخرى كثيرة جدا ، على حين استطيع أن أؤكد بحق - بدليل اثنى عشر عاما قضيتها فى اسبانيا - أننا لا نرغم على مشاهدة حفلاتهم البابوية فحسب ، بل إننا فى خطر على حياتنا واحفادنا ».

وهذا ما جعل بطريرك « أنطاكية » واسمه « مكاريوس » يقول :

« أدام الله دولة الترك خالدة إلى الأبد فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ولا شأن لهم بالأديان سواء كان رعاياهم مسيحيين أو يهودا او سامرة .. ؟ !!!».

والعجيب أن يتم هذا التسامح فى الوقت الذى كان المسلمون يبادون من الأندلس بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون ينشرون العلم والحضارة ويهدون أوروبا إلى طريق النور فى زمن لم تكن ترى فيه الضوء إلا من مثل سم الخياط ، وظل هذا التسامح ساريا فى كل الديار الإسلامية ومع كل الطوائف والأقليات مادام الشرع الإسلامى هو الذى يحكم ويسود حتى اليهود الذين يتصرفون كثيرا تصرفات تثير مواطنيهم

عليهم وتقود شعلة الكراهية لهم ، وخاصة حين يدبرون المكايد خفية أو ينشرون الفساد جهره ..حتى هؤلاء اليهود عاشوا فى المجتمع الإسلامى آأمن ما يكونون على أنفسهم ومعابدهم وأعراضهم وأموالهم حتى لا يتورعوا عن استخدامها فى الربا المحرم عند المسلمين .. ؟!!

فى حوار أجراه مؤرخ مجرى مع قائد تركى مسلم ومع قائد صربى مسيحى ..

لقد سأل المؤرخ القائد التركى قائلا :

ماذا تفعل اذا انتصرت فى الحرب على الصرب ..؟

فأجاب القائد قائلا :

أقيم بجوار كل مسجد كنيسة ..!!

وعاد المؤرخ إلى سؤال القائد الصربى قائلا :

ماذا تفعل اذا انتصرت فى هذه الحرب .. ؟

فأجاب القائد الصربى قائلا :

أهدم كل مسجد وأبنى مكانه كنيسة .. !!!!

إننى لا أريد نبش القبور ... ولا فتح الملفات ...

فتاريخ الغرب وشعوبه مع الإسلام يسود وجه الشمس ، واذا كان (القرآن) يقرر بأنه « لا تزر وازرة وزر أخرى » ..

فنحن كمسلمين نرحب بنسيان جرائم الأباء وابتداء صفحة جديدة من اليوم ..

هل نسينا أنه لم يترك مسلم واحد حيا ، ولا مسجد واحد قائما فى اليونان فى اعقاب الإنقلاب الذى وقع عام ١٨٢١م .. حيث قتل من المسلمين ثلاثمائة ألف بمن فيهم من الشيوخ والنساء والأطفال ؟

هل نسى هؤلاء أن المسلمين كانوا أغلبية فى دول البلقان ثم تحولوا بعد ذلك إلى أقلية بسبب التعذيب والإرهاب والقتل ؟

أفلا يتذكر هؤلاء كيف عاش غير المسلمين فى كنف الإسلام ، وكيف شاركوا المسلمين فى الإدارة والحكم والسلطان حتى اذا سقط علم الخلافة واتيحت لهم الفرصة استباحوا دم المسلم وعرضه أو يترك الإسلام .؟

لقد نشأت فى قرية ريفية .. تسعة وتسعون فى المائة من سكانها كانوا مسلمين بالطبع ..

إننى لا أزال أذكر وبالرغم من مضى حوالى ستين عاما على مغادرتى هذه القرية .. لا أزال أذكر هذه العلاقات الحميمة التى كانت قائمة بين النصارى والمسلمين فى هذه القرية ، وكيف كان المسلمون يسعون هؤلاء النصارى حبا وسماحة .. بل كانت العائلات الكبرى تتطوع بحماية هؤلاء النصارى من أى سوء يتعرضون له من أية جهة ..

وقد بدأت التعرف على رجال الكنيسة القبطية - فى مرحلة مبكرة من مراحل التعليم فى القاهرة، لم أكن اشعر تجاه هؤلاء القسس والكهنة بأى لون من ألوان الكراهية ..

كنا نتحدث دائما كأبناء أسرة واحدة وفى قضايا وطنية عامة ثم تتطور هذه الأحاديث لتشمل شئون عائلاتنا الخاصة ..

ولأول مرة فى حياتى تعرفت على إنجيل متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا ولايزال مكتبى حتى هذا اليوم يحتفظ بالعديد بطبعات هذه الأناجيل المختلفة، وباللغتين العربية والإنجليزية .

وفى أوائل الخمسينات من هذا القرن، وحين كنت طالبا فى كلية أصول الدين كان مبنى هذه الكلية يقع فى حى شبرا، وعلى بعد مائتى متر منه توجد كنيسة تحمل اسم « سانت تريزا » ..

لقد ذهبت ومعى عشرون طالبا لزيارة هذه الكنيسة .. ففوجىء الكهنه والرهبان بهذه الزيارة وارتسمت على وجوههم الدهشه من هذه المفاجأة، وارتسمت علامة استفهام ضخمه شملت المكان كله من المذبح حتى برج الكنيسة .. !!!

غير أننى شرحت لهم قصة قدومنا ببساطة ..

قلت لهم : إنكم جيراننا، وللجار حق مقدس ثم إنكم ضيوف فى بلدنا وللضيف حق مؤكد وإكرام الجار والضيف من السنن التى أكد عليها النبى محمد .. !!!

فإذا كان الله محبة كما تقولون ، فإن هذه المحبة - تمثل فى الإسلام اعلى درجات الإيمان والتقوى عند كل مسلم(١٠٤) ..

وحين سافرت إلى بريطانيا للدراسة ، وللتحضير لدرجة الدكتوراه اخترت إقامتى فى مدينة « كمبردج » ، وهو اختيار شارك فى تكوينه وجود بعض الإخوة من المسلمين والعرب ، كما ساعد فى تكوينه عاطفة إسلامية تجمع بين الباحثين والدارسين فى جامعة «كمبردج» "CAMBRIDGE" كنا نصلى الجمعة فى كنيسة صغيرة اسمها (فيشر هاوس) (FISHER HOUSE) وكان الطلاب والدارسون يذهبون لجمع الصلبان والتماثيل - قبل الصلاة - بوقت كاف .. حتى اذا انتهت الخطبه ، وفرغ المصلون من صلاة الجمعة.

أعيد كل شىء إلى ما كان عليه ، وطوى الحصير والبسط فى انتظار (جمعة) أخرى حتى نعود اليه ... !!!

لم أشعر فى حياتى بأى نوع من الكراهية تجاه أحد ... قلبى مفتوح لكل البشر ، والسماحة التى علمنيها الإسلام تفتح أبواب الحوار والنقاش لكل من يخالفنى الرأى كما ان طبيعتى ترفض العنف وتكره لون الدم ..

لم أنسى حتى هذا اليوم قصة جارى « حنـا » الذى ذهبت اليه أهنئـــه بعيد الفصح ..

---

(١٠٤) انظر كتاب (رسالة إلى البابا) للمؤلف - نشر دار المختار الإسلامى - القاهرة - .

فجأة دخل علينا قس .. ظننت فى بادىء الأمر أنه حضر للتهنئة فإذا به يدخل مع جارى فى معركة حادة .. !! ولم أعرف سبب هذه المعركة .. ولم أحاول التدخل لفض هذا الإشتباك الذى حدث فجأة.. !!

بعد ان هدأت ثورة (القس) وجه كلامه أو تهديده إلى جارى قائلا :

هذه آخر مرة تتخلف فيها عن الكنيسة .. !!

وقد جئت بنفسى لأحذرك حتى لا تفعل ذلك مرة ثانية .. !!

لقد شعر جارى بالحرج الذى أوقعه فيه هذا (القس) غير أنى أنقذت الموقف بتلاوتى عليه بعض آيات الكتاب المقدس .. !!

ثم أتبعت هذه الآيات بوصايا القديسين التى تحض على ضرورة الذهاب إلى قداس يوم الأحد .. !!!

لقد انبهر (القس) لما قلت .. ثم قال بعد فترة قصيرة من الصمت:

إنك إبن مبارك ! لكن لماذا لا تأتى إلى الكنيسة يوم الأحد ..!!

وهنا انفجر جارى (حنا) من شدة الضحك، ثم قال موجها كلامه إلى (القس) حاسب (يا أبونا) إن فلان هذا جارى المسلم، ويعمل سكرتيرا لشيخ الأزهر(١٠٥) .. !!!!

(١٠٥) كنت فى بداية أعمالى الوظيفية سكرتيرا فنيا للإمام الاكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت ..

هذا هو الإسلام .. وهؤلاء هم المسلمون يا سيد بنديكت ..!!

وكما يقول إقبال شاعر الإسلام والشرق :

لولاك يا رسول الله ..

ولولا دعوتك وجهادك ..

لولا دعوتك التى وسعت الإنسانية كلها شعوبا وأرضا ..

ولولا دينك الذى آمن به آباؤنا فخرجوا به من حياة الخمول والهوان والعزله - إلى حياة الشرف والطموح ...

فأسسوا دولا واسعة . وفتحوا بلادا شاسعة ..

ولولا هذا الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام

ومن العزلة والإنطواء إلى فتح العالم ..

ما ارتفعت لنا راية ولا سمع بنا احد من البشر ..

وبقينا فى الصحارى الضيقة نتصارع ونتناحر ..!

يأكل القوى فينا الضعيف ..

ويظلم الغنى منا الفقير ..

طعامنا أفقر طعام .. وعيشنا أخس عيش .. !

نعيش فى عالم من نفوسنا التائهة وتجاربنا المحدودة

أسماك بركة .. وضفادع بـــئر .. !!!

ولكنك يا رسول الله ..

ألقيت علينا ضوءا من دينك ففتحت به عيوننا
واتسع به خيالنا ..
فخرجنا إلى أرض الله الواسعة نحمل دينه
الشامل ورابطته الجامعة ..
نحارب الوثنية والشرك والجهالة والظلم ..
فأسسنا هذه الدولة العظمى . ونعمنا ونعم اباؤنا فى ظلها...
وها نحن نقدم اليك تحياتنا ..
ونقدم اليك ضريبة الإجلال والتعظيم والحب ..
وهى ضريبة نقدمها طوعا وإختيارا ..
ونعترف بتقصيرنا فى جنب دينك وتطبيق قانونك
قانون ... اللـــه ... !!!



فهرس

